

تحليلات
أدبية
مجموعة

شادي عبد الموجود

مجموعة قصصية

لـ .. خليل فاضل



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

خليل فاضل

شادي عبد الموجد قصص

دار ميريت
القاهرة ٢٠٠٧

شادي عبد الموجود

شادى عبد الموجود

قصص

خليل فاضل

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

(c) دار ميريت

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: ٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)

www.darmerit.net

merit56@hotmail.com

الغلاف : أحمد خالد

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٧٣٨

التسجيل الدولي: 4-356-351-977

إهداء

إلى أمي ...
ذات الشعر العاجي

فانتازيا الحلم والمرارة

كائنات خالية من الضوء

صاحت المغنية، وصاح المستمعون معها:
"أحلف بسماها وبترابها،
أحلف بدروبها وأبوابها،
ما تغيب الشمس العربية،
طول ما انا عايش فوق الدنيا"

كان اللحن حماسياً للغاية، رتمه عال ودقاته قوية، جملة قصيرة، يسري مندفعاً وسط الحضور ذوي الياقات البيضاء واللبذل السوداء.

كررت المغنية الأغنية؛ فقاطعها رجل يميل إلى البدانة في منتصف العمر، وصل صوتُه الجهور إلى كل بقعة في القاعة الفسيحة، وكأنه يمسك ميكروفوناً خفياً، صاح:

■ غابت الشمس العربية، ورحمة أمي غابت، راحت وما رجعتش، ما عرفش أصلاً إذا كانت طلعت ولا لأ، وبعدين إيه

عائش فوق الدنيا دي؟! ... أنا مش عائش يا هانم!
أنا ميّت متحسّر ومتكسّر ومتتبّل بألف نيّلة، أنا تحت الدنيا،
تحت خط الفقر والمصحف الشريف.

أنا اتسلّلت هنا لابس بدلة أبويا المرحوم. دخلت مع الخدم
والسفرجية. ماشافونيش التحف بتوع الأمن، الـSecurity
البهوات همّ وجهازهم العبيط اللي بيزمّر ع الفاضي... طظ فيكم
كلّكم! ...

جاء رجال كثير من مختلف أنحاء القاعة المكتظة بالهوانم
والألماسات. حملوه وكتفوه. كان ثقيلاً عليهم، لم يقاومهم. أمسك
بيده وردة حمراء بلدي وزعوها خارج القاعة ليهدّيها الرجال إلى
نسائهم. لم تكن لديه امرأة، ولا كلبة أو قرّدة أو قطّة أو نملة.
جلّجت ضحكته في الردهة الخلفية. عزفت الموسيقى مرة أخرى،
وفي حماسة أكبر وأخطر. أعادت المغنية الكوبليه في إصرار
شديد على الاستمرار، كما أن الفرقة أصرّت على أن تعزف حتّى
آخر وتر، دق الطّبّال الشيك في عنف، وردد البهوات خلف
المغنية:

(ما تغيب الشمس العربية ...

طول ما انا عائش

لم تكتمل الجملة المغناة، توقّف الحشد وكأنه في حداد، جاءهم
صدى خطير تسلل من كل السّماعات غازياً التكنولوجيا والـ

:Security

■ الشمس العربية غابت. غابت يا ولاد الكلب، وأنا قتلتك.
انتم مش عايشين فوق الدنيا. انتم سفلة، وبتحبوا تصدقوا نفسكم!!
جلس الحضور على كراسيهم. أمسكوا بتذاكر الحفل. تهذلت
رؤوسهم على صدورهم، ثم غطّوا في نوم عميق.
تهذل رأس السيدة التي ما لبثت أن بلغت الأربعين. تهذل
على صدرها. تنكس ولم ترفعه، قالت في صوت خفيض:
■ أنا عندي اكتئاب، اكتئاب مزمن، معشوق في كل حنة في
جسمي وعقلي. داخل في تجويف قلبي ومعشش في كياني، اكتئاب
وسخ ما لوش حل، عارف لما شفت صدام حسين وهم بيطلعوه
من الحفرة أشعث الشعر، كأن عمره ١٠٠٠ سنة ولسه طالع من
الكهف. كإنه واحد تاني استنسخوه، وبيفلّوه بالضوء وهم لابسين
جوانتيات طبية بيضا عشان ما يتعدوش. صدام الديكتاتور
الحرامي الحقيير. أنا كنت باكره كره الموت، لكن لما شفت
المنظر ده، قلبي اتقبض، ووشي اسودّ. اتزعجت مني كرامتي.
فتحت الشيش. دورت على الشمس العربية. ما لقيتهاش. وقعدت
على السرير وفضلت أضحك أضحك بشكل هيسيتيري. من
ساعتها وأنا عندي الاكتئاب الوسخ ده.

* * *

قلبت المرأة السكر في الشاي وهي واقفة كعمود الصواري

في مطبخها العتيق، نذت عنها ضحكة خفيفة وهممت للسكر:
■ هو انت ما بتدوبش ليه يا سكر؟! مقاوم، ولا
مغشوش والّا إيه؟!

ولم يرد السكر. استقر في قاع الكوب الذي أشرق بلون
الشاي الأحمر. ارتشفت رشفة فاقشعر وجهها وكأنها قد تذوقت
الحنظل. كانت وحيدة. ماتت أمها وهي في الثالثة، ومات أبوها
وهي في الثالثة والثلاثين. اتخطبت مرتين واتفست الخطوبة
مرتتين. طمعوا فيها الرجالة رغم تواضع أنوثتها، وقهروها
النسوان رغم محاولاتها للصلح معهم. سمعت صوتاً يناديها من
غرفة النوم:

■ يا وردة. يا وردة يا وحشة انتي فين، أنا مستيكي!
تفزععت وانتفضت، ثم تماسكت وصاحت بصوت عالٍ علّه
يزيدها شجاعة:

■ مستيني إيه. وفين؟ انت مين أصلاً؟
ضحك الصوت ضحكة الواصل العاشق. أطلت من جانب
حيطة المطبخ على باب غرفة النوم، وجده يطل برأسه، يغمز لها،
وقد وضع على شعره جل مستورد، وقسمات وجهه تبدو نضرة،
فاح عطره، تمهل ثم قال:

■ مش عارفاني يا وردة؟! دا أنا عشيقك من يوم ما كنتي
تلات سنين. رحتي فين؟!

مش أحنا كل يوم بننام مع بعض؟! أنا الاكتئاب يا وردة، نسيّتيني والأَيّه، هاتي الشاي وتعالِي.
خلعت لبس الخروج. ارتدت قميص النوم الأحمر الملّوع، وضعت أحمر الشفاه والبودرة والكحل، مشطت شعرها وتراقصت أمام المرأة، دخلت إلى الفراش البارد، تغطي نفسها وتتأوّه كامرأة مُجربة رغم أنه لم يمّسها ذكر قط.

وقفت البنت التي في منتصف العشرينات، تحاول أن تطاول سقف الغرفة بطولها، ارتاحت على الأريكة المستطيلة ذات التطريز الخاص. شهقت وكأنها تدعو الحياة، همست:

■ عارف؟!!

ردّ بسرعة:

□ هه؟!!

■ أنا باحس بالذنب إذا تركت الصلاة، لكن لا أحس بالذنب إذا نمت مع رجالة؟

شقت هومها وصرخت، فطار طيرُ وارفع ثم حطّ على سلك الكهرباء العاري، انتفض ألف مرة ثم مات متحشّباً.

* * *

تخشّب جسد أم هند والشيخ يمسك برقبته، يصرخ في العفريت: اطلع اطلع.

أخذها زوجها سيد إلى المستشفى.

قالت له:

■ لزمتها إليه المصاريف دي يا سيد، دكاترة ومستشفى وشيوخ؟! والنبي ودينى عمرة مولد النبي.
راحبت العمرة وعادت، اشترت عروسة المولد وأكلتها، ضممتها الأحزان والأشجان، تقلبت بها المواجه، توترت واسود وجهها، قالت لزوجها:

■ أنا يا سيد بآكل صابون!! بحاول أغسل نفسي من جوه حرقـت كيماويات الصابون تجاوبف فمها. اخنقت من عينيها البهجة. لبست العدسات اللاصقة بلون شفـتشي.
أطرق سيد، كتم غيظه وغضبه وقلة حيلته. قامت لتجلس إلى جواره على الكنبة، قالت في صوت مليء بالإغراء:
■ سيد، هاتلي ريسيفر أشوف بيه الدنيا واتلهي فيها أحسن من أي علاج، دي هيفا بتردد الروح...حتى للنسوان.

* * *

وقفت البنبت على كعبيها بالحذاء العالي جداً، المدبب جداً،
صاحت:

■ آه باحبه، باموت فيه، مش (وجدي) أكبر مني بـ ٣٨ سنة، (طـظ). الدهن في العتافي. بيفكرني ببابا بالضبط، حتى مشيته زيّه، بنهرب مع بعض لشاليه العين السخنة ونعيش حياتنا، أنا عارفة إنه بينام مع تلميذاته، وإنه راجل وسخ، بس في عينيّا

زيّ السكر، نفسي نفسي، أكبر صدري كده، وأبقى زي هيفا، لو ده حصل هآكل شهد. هاعمل شغل ما حصلش، يمكن خطيبي يرجع من العراق، مش فاهمة شغل إيه ده اللي راح له. على فكرة خطيبي ده كان بيحبّ صدام حسين، ومايعرفش إني على علاقة بوجدي، وحتى لو عرف. رجالة معفنة وما عادش عندها نخوة.

* * *

صدحت المغنية من الراديو من خلال إذاعة مجهولة:

(... ما تغيب الشمس العربية)...

صاح الرجل الماشي في الشارع: روبابيكيا!

أذن الفجر، فقامت وردة لتغتسل.

مشط الاكثتاب النائم معها حاجبيه ثم لعبهما في احترام.

خبط رجال الـSecurity على أبواب كل الشقق، وكأنهم

المسحراتية صائحين:

■ اصح يا نايم!

قال عبده النجار:

□ بس احنا مش في رمضان يا جماعة؟!

ضحكوا ضحكة جوفاء. قال كبيرهم:

■ وبتناقش كمان يا ابن الكلب؟!

وضعوا كل السكان في البوكس.
انطلقت السارينة مع صوت المغنية لتكمل الكوبليه:
(..... طول ما أنا عايش فوق الدنيا)

مارس ٢٠٠٥

رقبة عبد الفتاح المائلة

كانت رقبة عبد الفتاح البواب مائلة ناحية اليسار، مسنودة على الحائط الرطب وهو نصف مستقل على السرير البارد، نصف مُغطى بالبطانية الكالحة، رأسه متجهة ناحية الحائط الذي يصنع شبه مكان تحت السلم. غط في نوم عميق دون أن يُسمع له نفس، لم تكن له عادة الشخير، وجهه كان نوبياً منشرح الملامح بسيط القسمات. كان عبد الفتاح بواباً بمعنى الكلمة، ولم يكن من رجال الأمن الـSecurity، كما في البنايات المتشابهة الممتدة التي تديرها شركات يمكن أن تكون أجنبية، كان بواباً بحق وحقيق لعمارة سكانها شاخوا ومات أكثرهم وهو نائم، دائماً ما كانوا يموتون في نوبتيته خلال ساعات نومه قبل انبلاج الفجر. كان بواباً لباب حديد متين يغلقه قفل كهربائي أوتوماتيكي يتحكم فيه السكان من كل الشقق بأزرار، غير أن اليد تفتحه من الداخل ولا تغلقه أبداً. فيدخل من يدخل ويموت من يموت، ويخرج من يخرج، على قدميه أو محمولاً على خشبة. كان سكان العمارة

وروادها يعرفون. عبد الفتاح ويحبونه، مهما كذب ومهما حاول إقناعهم بأنه يقط، فها هو جالس بجانب الأسانسير، وها هو يراقب الباب، على الرغم من أن عينيه كانتا مدفونتين في مقلتيهما، أوحى إلى الجميع بأنه (صاحي، والله صاحي)، وأيضاً يراقب كل الأشياء.

دخل عبد الستار أفندي الموظف في الجمارك بطوله وعرضه، شاربه المحفوف وجبينه العريض، نحلت أكتافه وقلت حركته منذ أن أصيب بالسكر والضغط، فتح باب المصعد وأغلقه، وعبد الفتاح البواب نائم، حط في الدور الخامس، تقدم حتى وصل إلى شقة أبيه، فتحت له أمه وهي مكدودة، تلم شعرها بمنديل انتسخ من الهم، احتضنته وقبلته، أحست به ثقيل الصدر متناقل الخطوة، خاوي النفس وخال من التعبير، غير أنه في تقدمه إلى الصالة، انفرجت بعض أساريره عند لقاء أبيه الحاج، لكنها كانت انفراجة مزيفة مصطنعة مفبركة تشبه ما بعد عمليات التجميل. كان الحاج يجلس على الكنبه الممتدة مرتدياً جلابية مخططة وطاقيه من نفس القماش مخططة أيضاً، كانت له نفس الابتسامه المجوده المزيفة المصطنعة الخارجة من كد وكمد عظيمين. انحنى عبد الستار أفندي على يد أبيه وقبلها. أغرورقت عينا الأب، مال إلى الأمام قليلاً ثم تنهد قليلاً، تابع بعينين زائغتين التليفزيون وهو يبيت برنامجاً سخيفاً تحاور فيه المذيعه الممثلة المطرب الشعبي وهو

يرتدى بذلة وحذاء من نفس لون طقم الصالون (هكذا قال المطرب). نظر الحاج إلى جلابيته وطاقيته، نذت عنه ضحكة خفيفة ممثلة بالألم والعجب والدهشة، كان ابنه بجواره يجلس على طرف الكنبه احتراماً واقترباً من أبيه المنهك.

قال عبد الستار أفندي لأبيه:

▪ ضروري يابا تلبس عشان نروح للدكتور.

كان يخفى عليه أنهما سيذهبان إلى المستشفى، لم تكن لدى الحاج أي قوة لارتداء الملابس الأفرنجية، ولم تكن لدى عبد الستار أي نية للضغط عليه. استند كل منهما على الآخر، على الرغم من أن صحة الإبن كانت أفضل، إلا أن خطوات الإبن ووالده وظلهمَا على الأرض صَعَب التفريق بينهما، كل منهما كان محفوراً في الزمن، تتآكل منه الأطراف والحواف، نعم تتآكل إلى حَدٍّ بعيد.

نزلاً من التاكسي، عكز كل منهما على الآخر. على باب المستشفى جلس رجل يشبه عم عبد الفتاح البواب، لكنه كان داخل صندوق زجاجي. جلس منتصباً على كرسي مرتفع وكان يبدو وكأنه يراقب المكان، بدت عيناه زجاجيتان، شعره مصفوف بعناية إلى الخلف، تترك حواف المشط تترك مجاريها بوضوح على فروة رأسه، بدا شبيهاً بمارلون براندو. اقترب عبد الستار من الرجل، كان هو المنوط بالأمن لكنه لم يكن برجل الأمن. كان

موظفاً مثل باقي الموظفين بالثقافة والفنون والطب، مثل الدعاة ورجال الكنيسة والأوقاف والجمارك. سأله عن الطريق إلى الجراح، فلم يرد. كان نائماً مفتوح العينين كالتمثال، هزّه عبد الستار هزة خفيفة؛ فانفض وزعق وقال في صوت عال أشبه بعسكري الدرك أيام زمان:

■ هاهنا .. أيوه .. مين هناك .. إنت مين وعازز إيه!!

ضحك عبد الستار ضحكه حقيقية من قلبه، وسأل الرجل

الزجاجی

□ تعرف مارلون براندو!؟

أخرج الرجل مشطه العتيق، أعاد تسريح شعره للمرة الألف،
ممصص شفتيه قال:

▪ لأ... مین مارلون براندو ده!! خواجه من اللى كتروا فى مصر جاى يعالجنا!!

ضحك عبد الستار مرة أخرى، ظلّ ممسكاً بيد أبيه، كانت ضحكته شفافة بريئة، كالطفل الذي يكرر في أغنية محمد فوزي (ماما زمانها جاية .. جاية بعد شوية .. جاية لعب وحاجات .. هق هق هق هاــــــــــــــــــــــاق) .. قال عبد الستار للرجل:

□ مارلون براندو ده ممثل أمريكي عبقرى، رفض ياخذ الأوسكار احتجاجاً على اضطهاد الأمريكيان للهنود الحمر.

أخرج الرجل مشطه مرة أخرى، مشط شعره وشاربه ثم

صاح في عبد الستار:

■ أنت عايز إيه يا أفندي إنت؟!

سأله عبد الستار عن الدكتور؛ فذّله؛ فسحب والده معه حتى وصلا إلى نهاية الممر الموحش ذي الإضاءة الثلجية الباردة.

بعد الفحص وجّه الجراح الطويل النحيل الكلمات الرصاصية إلى عبد الستار، وجهها إلى قلبه في سرعة البرق :

■ أبوك عنده غرغرينا ورجله لازم تتقطع من تحت الركبة. اتفضل برّه فهمه واكتب الإقرار يلا.

انحنى عبد الستار بعينين مغرورتين بالدمع، شرح لأبيه المسألة. لم يهتم الرجل. (مافرقتش معاه خالص)، صمت قليلا ثم قال:

■ اقطع .. اقطع يا بنى.

وقف عبد الستار خارج غرفة العمليات، وفجأة خرج الجراح الطويل النحيل، وعلى وجهه كمامة، يده داخل قفاز الجراحة المشدود، تغطي قامته ملابس غرفة العمليات الخضراء، صاح:

■ إنست يا أفندى تعال هنا .. اسمع. إحنا مسلمين. رجل أبوك أهيه .. لازم تتدفن. خدّها وروح الصحة.

كانت الممرضة قد لفتها فى شاش أبيض، نشع عليه الدم في بقع تشبه رسومات الورد البلدي الأحمر على ملايات العرايس في الفلاحين، ناولتها لعبد الستار في يده. وضعها في شنطة (هاندباچ)

وهو ممتلئ بالهلع والخوف، كانت دموعه تسح إلى داخله، تسقيه رُطبا جنياً، وكأنه مليون شعور يدخلون في بعضهم البعض، مضى في طرقات المستشفى لا يجد من يستند عليه. كان يتوقف للحظات ثم يسير. تخيل مرة أنه يحمل أثراً مسروقة. ومرة أخرى نذور السيد البدوي. ومرات وكأنه يحمل دنياه وآخرته، همومه وأحزانه، أو كأنه يحمل أوراق الجمارك كلها، وجوه المسافرين وأختام الدولة: النسر والخالص والذي بلا معنى.

كان في كل اللحظات على يقين أنه يحمل رجل أبيه. سمع خطوتها وهي تطلع السلالم، سمعها وهي تركل الباب. وسمعها وهي تخطو حاملة البطيخة والعيش السخن. سمع الرجل تتكلم من داخل الشنطة. كان لها دوى. صُراخ. أنين. تصدح أحياناً وكأنها سيد درويش، وأحياناً أخرى تنن وكأنها فريد الأطرش، كانت ثقيلة ثقيلة للغاية، لدرجة أن عبد الستار اضطر إلى أن يجلس على الأرض، وأن يتمهل. خرج من الباب الرئيسي، استوقفه الرجل الشبيه بمارلون براندو من داخل الصندوق الزجاجي وسأله:

■ الشنطة دي فيها إيه يافندي.

ابتسم عبد الستار ابتسامة الوزراء في البرامج الجديدة، وهم محرجون ومتبجحون في بعض أفراد الجمهور المشاغب الذي ما فتئ يستخدم مساحة الحرية إلى آخر جزء فيها. أجاب عبد الستار في تودة:

□ دى رجل أبويا ... يا مارلون براندو.

كان الرجل الزجاجي ذو العينين الزجاجيتين داخل الصندوق الزجاجي، متعوداً على خروج ناس بحقائب فيها أطراف، ومتعوداً على دخول ناس على قدميها والخروج بقدم واحدة، أولاً يخرجون إطلاقاً. ركب عبد الستار التاكسي، ذهب إلى مكتب الصحة وخلص كل الإجراءات، دفن الرجل وصلى عليها. كان مشوشاً يتوق إلى الراحة، ذهب إلى بيته في باب الخلق. استقبلته زوجته، كانت حاملاً في ابنه الأول. قبلها على جبينها. بكى في عنف شديد حتى سقط على الأرض. رشت على وجهه الماء، سقته الماء المحلى بالسكر وساعدته حتى وصل إلى غرفة النوم ثم ارتمت على الفراش، رقد على ظهره يتأمل سقف الغرفة ولم يتوقف عن النشيج. استأذن عبد الستار زوجته فوزية في أن يبيع بعض تجهيزات شفتيها. احتضنته وقالت :

■ أنت ابني وأبويا، وأبوك أبويا وضنايا يا عبد الستار، إنت بتتكلم فى إيه؟! *

اشترى عبد الستار لوالده أرقى طرف صناعي في مصر كلها، خرج معه من البيت الكبير إلى بيته الصغير ليستقبل ولي العهد. كان صوت الطرف الصناعي الغالي الأنيق غريباً بعض الشيء. لم يكن نشازاً لكنه كان مدبباً. صوته عميق القرار وكأنه

يحاول التعرف على أعلى الساق، على الرجل وعلى البلاط، وعلى جو البيت الرطب، لكن حتماً كان والد عبد الستار أكثر إشراقاً وأفضل حالاً، ربما لأنه ينتظر أول أحفاده، وليس لأنه قد استبدل الغرغرينا بالخشب والحديد.

ما إن وصلا إلى البيت الصغير، حتى كانت دقات الساق الصناعية تتزاوج مع دقات عبد الستار على الباب، فتحت أخت فوزية الباب، زغردت، خرجت الست الحكيمة بولي العهد ووضعته بين عبد الستار وأبيه، حملاه معاً وكأنما يلتصقان به، يتحدان ويتوحدان به، مع حياته المقبلة التي — ربما من باب التمني فقط تكون مختلفة — يعني لا أحسن ولا أوحش. بكى القادم الجديد بشدة، صرخ حتى أحمرَّ وجهه وصار مثل الكبدية. هدهدته أمه وراح كل واحد إلى حال سبيله.

* * *

تمشت الحاجة في الصالة الكابية الضوء، تروح وتجي في عصبية محسوبة، في الخلفية كان التليفزيون شغلاً، من باب الوئس فقط لا غير، اختلطت في تجاويف أذنيها أصوات مشوشة لمذيع وممثل، أتى الصوت اللزج ضاحكاً في ميوعة، كانت كلماته مشوشة قليلاً (قلتلى بصراحة انت بتحب الستات، ما تخافش مراتك مش بتستفرج علينا)، تلتها ضحكة رجالي رقيقة يعقبها صوت أخنف (آه .. ظبطتني، أنا بموت في الستات....!!)، تلي

ذلك قهقهة ممتزجة بضحكة ماجنة... ثم الإعلان.
في الغرفة الداخلية كان الضوء أكثر اصفراراً:

جلس عبد الستار بجوار والده بالعرض على حافة السرير في مواجهة التليفزيون، الذي كان يذيع مباراة حاسمة لكرة القدم، كانت كتف الوالد بمحاذاة كتف الابن، صاح الحاج في ابنه بلهفة طفل عصبي (شايف، شايف الكورة فين؟!، آآآ لو حد موجود في المكان ده. كان أكيد جاب جون). كان الحاج كامل الوعي، يقظاً وضحوكاً، نزل على ظهره على السرير في جزء من الثانية، وفي لحظة خاطفة، مات.....نعم مات ... توفي، دون احتضار، دون حشجة ودون أعراض أو مقدمات. انتهت المباراة وظل التليفزيون يذيع خطاباً لشيخ منفعل يتحدث عن الهواء الذي يمكن أن يطير العباية، أنهى القول بأن (ده مش حجاب)، استمر التليفزيون في إرساله، كان حديثاً مملاً كالعادة عن (المشروع القومي لكل شيء) وعن (هيسة الديمقراطية)، اختلطت برامج القنوات التي تذاع على تليفزيوني الصالة وغرفة الحاج، رقدت الجثة مسجاة على ظهرها، جاء طبيب الصحة، كذلك الأهل والجيران.

* * *

لم تنطلق أي صرخات. كان الضوء الأصفر والظوء الكاوي يفترشان المكان. نهايات الطرقة، الأبواب الصدئة المفصل، وقع

الأقدام يجتمع وينفصل، ينفك ويلتئم. خرجت الجثة بعدما غُسلت. كان البكاء لدى النسوة مكتوماً، لكن نسي الناس في مصابهم التليفزيونيين مفتوحين يصيحان بالغث والحديث البطيء، الممل والمكرر. لم يفعل عبد الستار، ربما تجمدت دموعه في قلبه، ربما كنتمها في حشاياه، وربما كان مشغولاً بالتفكير.. صلى على جثة أبيه مع الناس. دفنها مع الساق في نفس المكان ثم وقف في قلب المقابر... يصرخ.... مالت رقبة عبد الفتاح البواب أكثر ناحية اليسار، استندت أكثر على الحائط الذي صار أكثر برودة، غطّ الناس في نوم عميق للغاية حتى أذن المؤذن لصلاة العصر.

خرجت خشبات تحمل موتى إلى القبور المترامية الأطراف... ولم تتذعن الناس التي تحملها أي صرخة.

مارس ٢٠٠٥

أغنية للشعب العظيم

دخلت العربية الكارو مسرعة، في أناقة بالغة ومحسوبة،
أتقنها البغل والعرجي — تماماً — لدرجة أنها كانت شبيهة بعربة
رئيس الذهبية. كان البغل مزداناً بجرس ووردتين. الجرس على
غرته والوردتان على جانبي الأذنين. معروفاً كان — البغل —
هجيناً تزوجت أمه المهرة ذات الحسب والنسب في إسطبلات
الأعيان، من ذكر حمار فقير في غفلة من الجميع، وبترتيب من
فلاح لئيم أصبح هو المالك للبغل الأنيق فيما بعد. كان البغل يشبه
أبواه إلى حد ما، في أذنيه الطويلتين وعُرفه القصير، ذيله الذي
توجد به خصلة شعر طويلة في نهايته كما عند الحمار أبيه، وأخذ
من أمه بعض سمات مالكيها من عنجهية وصلف وكبرياء، ومن
أبيه بعض صفات مالكه من تخطيط ولؤم وإعداد محسوب
للمستقبل في سرية تامة، كما ورث عن أمه الفرس لونها وشكلها،
قوتها وضخامة جسمها، وعن أبيه الحمار صغر رأسه، دقة
قوائمه، وصغر حوافره، فصار هجيناً متميزاً بصحته وقوته حدة

وبصره. ورغم كل ذلك — ربما — أحس البغل بعقدة نقص بالغة من الحمار والحصان، ربما لأن الحمار كان حماراً خالصاً، سلالة نظيفة لا تشوبها شائبة، وربما أيضاً لأن الحصان حكمته عقدة التفوق لأنه خيل، يتبع الفرسان والأمراء، وعربجية الحناطير المنتشرين في مناطق البرج والنيل والجزيرة، يفسحوا السيّاح والعشّاق وأسر الريف الميسورة في زيارتها الشهرية إلى القاهرة.

دخلت العربية الكارو، وكأنها عربة الملكة اليزابيث، تزهو بتميزها، ألوانها وحرقة صناعتها، دخلت في سرعة محسوبة قدّرها العرجي والبغل بإتقان.

فتح العسكري بهيئته الريفية وبزّته البيضاء، أزراره النحاسية وشارته الصفراء البوابة الحديد المطلية حديثاً بلون أبيض روتيني غطّى على الصدأ وعوامل الزمن. جرّ نصفها الثاني أمامه موظف أمن في ملابس مدنية (بدلة صيني شعبية)، عادة ما يلبسها السعاة ورجال الدولة أيام عبد الناصر تعبيراً عن التزامهم بالاشتراكية.

وقفت العربية الكارو في المنتصف تماماً، أمام الفتحة الممتدة بين الأعمدة والساحة المؤدية إلى المسرح العريق (هكذا قالت المذيعة الضابطة حروف الكلمات)، على الرغم من أن المسرح كان حديثاً بنته بلاد الوطواط في إطار ما بنته بعد أن التهمت

وبصره. ورغم كل ذلك - ربما - أحس البغل بعقدة نقص بالغة من الحمار والحصان، ربما لأن الحمار كان حماراً خالصاً، سلالة نظيفة لا تشوبها شائبة، وربما أيضاً لأن الحصان حكمته عقدة التفوق لأنه خيل، يتبع الفرسان والأمراء، وعربجية الحناطير المنتشرين في مناطق البرج والنيل والجزيرة، يفسحوا السيّاح والعشّاق وأسر الريف الميسورة في زيارتها الشهرية إلى القاهرة.

دخلت العربية الكارو، وكأنها عربة الملكة اليزابيث، تزهو بتميزها، ألوانها وحرقة صناعتها، دخلت في سرعة محسوبة قدّرها العرجي والبغل بإتقان.

فتح العسكري بهيئته الريفية وبزّته البيضاء، أزراره النحاسية وشارته الصفراء البوابة الحديد المطلية حديثاً بلون أبيض روتيني غطّى على الصدأ وعوامل الزمن. جرّ نصفها الثاني أمامه موظف أمن في ملابس مدنية (بدلة صيني شعبية)، عادة ما يلبسها السعاة ورجال الدولة أيام عبد الناصر تعبيراً عن التزامهم بالاشتراكية.

وقفت العربية الكارو في المنتصف تماماً، أمام الفتحة الممتدة بين الأعمدة والساحة المؤدية إلى المسرح العريق (هكذا قالت المذيعة الضابطة حروف الكلمات)، على الرغم من أن المسرح كان حديثاً بنته بلاد الوطواط في إطار ما بنته بعد أن التهمت

النيران دار الأوبرا العتيقة، أوبرا الخديوي إسماعيل التي احترقت منذ ثلاثين سنة، احترقت في بضع ساعات وعلى بعد خمسة أمتار منها كان مركز الإطفاء في القاهرة وفي مصر كلها، بَنَت المسرح العريق بلاد الطوطا وكانها تعوض دولتنا العظيمة عن إهمالها....

دخل الرجال والنساء الأرسقراط (همس أحدهم مستكراً التعبير: هوَ لسه فيه أرسقراط)، دخل الحشد (النوفو ريتش)، ومعهم مزيغات وممثلات ونجوم مجتمع، رجال أعمال وشخصيات هامة، ضحك أحدهم وكان قصير القامة يرتدى باروكة تخفى صالته تماماً، ضحك وهو ينفض ذبابة حلت على وجه البغل، تمشي مننشياً مع امرأته المستقيمة العود، الصلبة القوام، قال:

■ بكرة هنبني لأمريكا مسرح في لويزيانا ذكرى لإعصار كاترينا.... هه هه هه .

نظرت إليه امرأته شزراً، لوت بوزها في تعجب وقالت:
□ لأ وأنت الصادق بكرة طماطاطيا العظمى هتبنى مسرح تعرض عليه كل الفرق مسرحية: من منا حديقة حيوان.
□ كتم السائر إلى جوار الزوجين ضحكته وسأل من جاوره الطريق:

■ من منا الحيوان!؟...!
هزَّ البغل رأسه ؛ فاهتزت الوردتان ودق الجرس على جبهته

دقة أشبه بالإنداز. انتظم القوم السائرون في بذلهم وفسائيتهم في إتجاه المسرح العريق، يثرثرون ويتفكهون، يميلون على أكتاف بعضهم البعض، ويكونون في مجموعهم كتلاً من الدهن، أصواتاً متنافرة كحشرجات المرضى فى القصر العينى القديم، ممتزجة بوشوشات الأجهزة اللاسلكية لرجال الأمن.

ظن رجال الأمن المنتشرون في الثنايا والكواليس، المرتدون أزياء مدنية، ملكية، رسمية وعسكرية. ظنوا أن العربة الكارو والبغل والعرجي جزءاً من العرض المسرحي، (حاجة كده أوريجينال). تثري المكان والزمان، تزيد روعة ملكات الجمال وصيفاتهن، عارضات الأزياء وكدابين الزفة، وهكذا .. كان — رجال الأمن — يظنون دائماً أمراً آخر، لكن حرم ذلك المسرح العريق كان مثل حرم البحر، وحرم النيل وحرم الجامعة أيام زمان، لا يجوز ولا يمكن أن يقف فيه بغل أو حمار أو حصان أو عربجي أو عربة كارو أو حتى عسكري، توهموا رغم إدعائهم الدائم أنهم لم يتوهموا، توهموا أن المسألة مجرد ديكور، أو أن الموضوع وقتي وسيزول ... نعم.. مثلما ظن الشعب بعد احتلال إسرائيل لسيناء سنة ٦٧ أن اليهود سيرحلون في الصباح الباكر، لكنهم قعدوا على قلبنا ١٥ سنة ... المهم ... انتبه رجال الأمن. أمن المسرح العريق إلى أن العربة الكارو قاعدة، والبغل قاعد ... نزل العرجي في هدوء شديد، أخرج بعض العلف من كيس

أبيض مطرز بورد متفتح زاه وبدأ يؤكل البغل.

تقدم بعض رجال الأمن من ذوى البذلات الافرنجية والكرافات البمبي اللامعة المخططة منها فيها، بوجوههم المضوية في هدوء حُسدوا عليه، توجهوا إلى البغل أولاً، ربتوا على عنقه، ثم إلى العربي الذي كان أنيقاً على غير العادة، يرتدى جاكيت كاكسي نظيف مكوي على جلابية زاهية ناصعة بدت وكأنها بلا لون، كان نادر الكلام ... إذا تكلم كان حديثه المقتضب منمقاً مختصراً ودالاً، أحياناً ما كان لا مبالياً، وأحياناً أخرى متمعد الاستعباط، كانت علاقته بالبغل والعربة الكارو خاصة جداً، فيها حميمية شديدة، بدا وكأنه أتى من داخل كل رجل في البلد كلها، وكأنه كان يجاهد لإخفاء رفته ورقّيه، خشية أن يظنوا فيه ضعفاً، لكنه في كل الأحوال كان منسجماً مع نفسه، مع البغل ومع العربة الكارو، كان إينا باراً لتقافته، ولكن بشكل جديد (نيولوك New look)، أخرج البابيب وأشعله، ثم نفث الدخان في الهواء ونظر إلى محدثيه وكأنه ممثل عبقرى في لحظة تأمل إبداعى، قالوا له في صوت خفيض، وكأنهم خائفون، يستحون النطق في حضرته، وكأنها تلك الكاريزما الخاصة به قد أخذت لبّهم وسحرتهم؛ فاستمروا واستمروا لعبة الحلم والحالة الذهنية بين النعاس والنوم، أدركوا أن كل شئ لا بد وأن يتم في هدوء ... (مادام دخل لغاية هنا يبقى فعلاً بغل مهم وعربجي أهم)، ربما كانت العربة الكارو

أثرية، أو عليها فعلاً كانت عربية رمسيس الذهبية متكررة في صورة شعبية، وقد تكون حاصلة على شهادة الإيزو أو جائزة الدولة التقديرية أو ..أو. وقد.. وقد، وقد يكون لدى العربي تصريح من وزارة الداخلية أو الآثار أو الثقافة ... وربما — أيضاً — كان كل هذا غير صحيح. وأن البغل والعربي والعربة الكارو، قد دخلوا خلصة أو صدفة أو خدعة !! ... تقدم المسئول الأول عن الأمن وطلب من العربي تفسير دخوله إلى هذا المكان، فلم يرد، أمسك العربي بالبواب في عوجة طبيعية، ثم نفث الدخان مرتين، فمرت سحبه أمام وجهه، أكسبته هيئة غير عادية، وعلى الرغم من أنه كان يلبس لبدة الفلاحين المعروفة، إلا أنه كان أقرب إلى (جيمس دين) أو (بيل كلينتون)... تقدم أحد رجال الأمن المساعدين إلى البغل، هزه فلم يتحرك ولم يتبرم ولم يهتز. توجهت ثلثة من موظفي الأمن المحترفين إلى العربة الكارو، فحاصوها من كل الجهات، بالكلب الشامام ومجسات المتفجرات، وضعوا المرأة الخاصة ذات الذراع الطويلة والانحناء الخاصة تحت مؤخرة البغل، فبانث لهم تدوير خصيتيه وجزء من عضوه الذكري، لم يستمر الأمر كثيراً حتى تبرز البغل تبرزاً محسوباً متكوناً، غطى يد الحارس الكشاف، وذراعه والمرأة؛ فابتعد إلى الخلف ومضى يبرطم ويشتم ويلعن.

أحدث تبرز البغل المفاجئ هرجاً ومرجاً، علت همهمة

الجوقة الأمنية وشوشاتها اللاسلكية وصارت زعيقاً وصياحاً
ومناداة، استدعوا الشرطة الرسمية ذات المركبات الداكنة اللون
والبوكسات المقبضة للروح بلوحاتها المعدنية الزرقاء الخاصة
بمركبات الحكومة، صاح أحد رجال الأمن نافراً عروق رقبتة،
ضاماً شفتيه كالمنافقين عندما يهتفون، وكشهود الزور وهم يحلفون
كذباً وبهتاناً:

■ يا جماعة .. يا جماعة .. هاتوا الونش !!!

احمر وجهه، نفث العرجي الدخان المعطر مرتين ولم يحرك
ساكناً، انتفض قائد الجوقة الأمنية قائلاً:

□ هو يعنى الونش هيشيل إيه ؟! هنكلش إيه ؟؟ رجلين
البغل والأعجل الكارو ؟!

تساؤلات شتى دارت في رعوس الحشد، اشتعلت المناقشات
الحامية، انشغل بعض الجمع الراقي الداخل إلى المسرح العريق
بالحدث، تكونت مجموعات بدأت بانئين وانتهت بحوالي عشرة،
انتهت كلها بأن تقدم كبير رجال الأمن إلى العرجي وهو منشغل
بنفث دخان البايب والطبوبة على رأس البغل وكتفه، اللعب
بالوردتين على جانبي أذنيه، وشخللة الجرس، بالهيصه والاهتمام
... وأيضاً بالمكان (حرم المسرح العريق)، كان يمزغ العلف في
متعة وكأنه يمزغ الكيفار، يلوكه في سعادة وكأنه يلوك اللبان
(التشيكلتيس) المستورد.. همس كبير رجال الأمن في أذن

العربي:

■ ممكن تتفضل تخرج إنت والبغل ده.. والعربية الكارو دي زي ما دخلتم وإلآ....
أطرق العربي ناظراً بعيداً عن عيني محدثه، متجاهلاً إياه بحق، تظاهر بالصمت، لكنه كان يدندن بأغنية قديمة تقترب من الموال وتدور حول معنى (والندل له عوزه)..... استغفر المشهد أحد مساعدي الكبير (وهم دائماً أكثر حماسة وأكثر حماقة، أصغر فى السن وفي الخبرة)، زغد العربي في كتفه ثم شتمه... لم يحرك العربي ساكناً، أخرج من جيبه موبايل حديث جداً مزوداً بكاميرا .. سرعان ما التقط لمهاجمة صورة، ثم أجرى مكالمة قصيرة لم تتعد الثلاث كلمات !! تراجعوا خطوات إلى الخلف لم يعدوها ولم يحسبوها، نعم، تراجعوا جميعهم إلى الخلف ولم يتقدموا.

* * *

تقدمت المطربة العربية تشدو بأعذب الألحان، خرجت من داخل قلب على شكل ديكور فظ الملامح خشن الحواف، أخذ بيديها رجلان مسرحيان شبيهان برجال الأمن، لكن بذلتاهما كانتا داكنتي اللون تزينهما على الياقة العريضة شارة تشير إلى عضوية حزب أو جماعة أو نادي أو فرقة. غنت المطربة أغان قديمة عن الوحدة بين مصر وسوريا، منها على ما نظن (أنا واقف فوق

الأهرام ... وقدّامى بساتين الشام)، وكذلك تلك الأغنية الشهيرة (من الموسكي لسوق الحميدية)، طلبوا منها أغنية حزينة أو حتى رثاءً بغير غناء تنعى فيه الوزير السوري المنتحر، لكنها تجاهلتهم وآثرت أن تجمال الملك وتغني له، تستسمحه في أن تعيد نداءها له راجية منه أن يعطى لشعبه المزيد، كانت القاعة مكتظة بخليط من العرب الخليجيين والمغاربة والشوام حتى اليمن السعيد كان ممثلاً، وموريتانا وجزر القمر والصومال ... تصاعدت روائح البارفانات الحريمي والرجالي ممتزجة برائحة العرق والضجر !؟

كان الضجر في خارج القاعة قد تزايد إثر مكالمة العربي المجهولة، وإثر غموضها أيضاً، وإثر الهزة التي أحدثتها طريقته في الاتصال، وكذلك إثر تراجع الجوقة الأمنية ... فجأة ودون سابق إنذار امتلأت الساحة الكبيرة بين المسرح العريق بجموع محتشدة، انتشروا في المكان في فوضى منظمة، بدوا أناساً غير الناس. مجموعات من الثكالي والكسالي والثمالي والمجاذيب والمبرشمين، ماسحي الأحذية وبائعي الفل والياسمين والمناديل، المقعدين والمعوقين، العميان والخصيان، المجانين وأشباه الرجال والنساء، رجال بدت ملامحهم تشربت قسوة وظلماً وبؤساً. نساء اخشوشنت قسماتهن حرماناً من المتعة والفسحة والبهجة، أطفال شوارع بوجوه معفرة عجوزة هاربة من أهل أكثر تعاسة، يبيعون البيبسي في القطارات ويشربون الخمر تحت الكباري، مجموعات

لا تقل عن خمسة ولا تزيد عن خمسة وعشرين من الحزاني
والمرضى والمهرجين ورواد عربات الفول المزمين، تكوينات
بشرية من البلياتشو والأقزام ومرضى الجزام والمشوهين،
الزبالين والناجين من الكوارث والمصائب، رجال بعمائم وخناجر
وسيوف ومسدسات، جوعى وعطشى ومومسات، موظفين
متسولين بورق مضروب وأختام نسر، مرتشون صغار وقطاع
طرق ونساء مُعيلات، خدم وسفرجية وقردياتية، غوغاء
متصارعين دائمين مع فكر الغوغاة، بعضهم جاء على ظهر حمار
أبتر، والآخر جاء مترجلاً حافياً بعد أن طاف المدن... لكنهم كلهم
فى مجموعهم كانوا على وعي تام وخفي بالمسألة. دخلوا من نفق
المسترو الفاتح على باب المسرح العريق، ومن كل الجهات
والبوابات السطحية، كانوا ساخطين ورافضين لكل شيء،
واضحين لا يخلطوا الأوراق. كونوا دائرة كبيرة ملأت الأرض
وسدت فضاء السماء، تحلقوا حول العرجي والبغل والعربة
الكارو.... بسرعة فائقة وفي لحظة خاطفة، اختفت الجوقة الأمنية
ودخلت إلى باحة المسرح العريق .. كانت المطربة العربية تغنى
منسجمة مع روح الأغنية وكلماتها، وكان الجمهور اللامع الساطع
المدندش المبتهج يغنى معها:

نعم يا حبيبي نعم
أنا بين شفايفك نغم
أيامي قبلك ندم
و أيامي بعدك عدم
نعم يا حبيبي نعم

(تذكروا حسين رياض بكل وجاهته وغلبه وصوته المشروخ المتأثر وهو يشجع الولد المصووص الرومانسي المريض بالبلهارسيا وهو يغني)... كانوا كلهم حلوين ومغندين يتمايلون يمنة ويساراً. فجأة انتشر بينهم رجال الأمن؛ فخرجوا جميعهم في لحظة من الأبواب كلها... في نفس الوقت دخل الدهماء والغوغاء والرعاع يتقدمهم العربي في هدوء شديد، يرشد البغل المزدان بكل الألوان، والذي كان يعرف طريقه ولا يحتاج إلى دليل أو إشارة، صعد بخطوات مدروسة إلى خشبة المسرح، يجر العربة الكارو، وقف العربي مبتسماً نصف ابتسامة، أمال رأسه ناحية الضوء الفضي، وفجأة أمتلأت قاعة المسرح العريق كلها بالناس أصحاب العربي، انطلقت الزغاريد وعلت .. نهضت النسوة من بين الكواليس ليضعن على العربة فرش وعفش العرس ... ألحفة ساتان أزرق وبمبي وشفتشي، مواعين نحاس وألومنيوم .. دقت الطبول وعلت أصوات المزامير، ارتفعت الأيادي بالدفوف

لتطاول ارتفاعات الأعمدة المنتشرة في المكان والسقف العالي جداً
الآخذ شكل القبة، جلس العروسان على العفش والفرش، كانت
بنيت زي القمر بمنديل أوية بترتر، ورجلين متحنية، خدود حمرا
ووشم ثلاثي طولي على الذقن، حركات لا إرادية كطفل بدأ المشي
بعد الحبو، بجوارها جلس العريس يتنطط مشيراً إلى أماكن
محدودة في القاعة ليتوزع الشربات بقسطاس. بدوا سذجا وبسطاء
وطبيين، شالوا همهم ورموه برّه، لم ينتبهوا إلى أن المذبة ذات
الصدر الأكبر لم تنزل في الخلف، أمامها المغنية تبدو على وجهها
علامات الخوف والدهشة والصدمة، ابتسمت المذبة ابتسامتها
المنافقة المعهودة وبدأت ترص الكلمات دون تفكير :

■ نرحب بالشعب العظيم في المسرح العريق، نهدي ألف
تحية للعروسين.

انطلقت الزغاريد مرة أخرى مزمجرة، كانت ضربات
الدفوف من هولها تهز المكان وترجه، صمتت المذبة وبدأت
المطربة تغني:

نعم يا حبيبي نعم
أنا بين شفائفك نغم
أيامي قبلك عدم
وأيامي بعدك ندم
نعم يا حبيبي نعم

لم يدرك أحد إن كان الغناء للملك أم للعرجي، من منهما الحبيب الذى يقال له نعم نعم، من هو ذلك الأسطورة التى تكون بين شفايف الشعب نغم، من هو ذاك الذى كانت الأيام، كل الأيام والسنين قبله عدم .. من هو المخلص والحارس والمعشوق الذى تكون أيام الناس كلها على اختلافها بعده ندم .. ترى من يكون.....؟؟؟

توجه الرجلان اللذان أتيا بالمطربة من داخل القلب وسحباهما من يديها، كل من يد ووراءهما المذبة، ثم اختفوا بين الكواليس. من بين الكواليس خرج البلياتشو يتدحرج، رأسه على الأرض وساقيه النحيلتان المزدانتان للسماء، يتشقلب بسرعة، ثم وقف مكان المطربة وقال في صوت رخيم:

لا تحسبوا ابتسامتى بينكم فرحاً
فالمرء عند طلوع الروح يبتسمُ
لا تحسبوا رقصاتى بينكم طرباً
فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

نظر الدهماء إلى بعضهم البعض ثم طالبوه بالتحلى عن مكانه لمذيعتهم التى كانت أكثر جسارة، طالبتهم (ولعة الوالعة) بالهدوء والتروي، قرأت عليهم نشرة الأخبار، ثم خلعت رداءها

فبان لحمها الأبيض يرفل في زى أحمر، رقصت عند أقدام العروسين والبغل والعرجي، مضت البنت الوالعة الطالعة من النار الوالعة الناجية من قطار الصعيد تكمل وصلتها .. سرت همهمة بين الحاضرين، كان الوقت بين الغسق والفجر، أدركوا واستبصروا ذواتهم، اكتشفوا فيها آفاق جديدة مكنتهم من نسيان الماضي، والبدء من جديد، صار الفجر والغسق في نعيش واحد، كانت اللحظة الغامضة سرية للغاية، رهيبة، انسحبوا فيها كلهم من القاعة واختفوا كما جاعوا، ترجل العرجي ناظراً في ساعته الرولوكس، لمع حذاءه الفخم ثم امتطى صهوة البغل جاراً العربة الكارو بالعفش والفرش والعروسين، مضى بها مسرعاً سرعة محسوبة، مارقاً كعربة رمسيس الذهبية من نفس البوابة التي فتحت نصفها نفس العسكرى الأبيض وموظف الأمن ذى البذلة الشعبية ... عند أول ضوء كانت حشود جنود الأمن المركزي بخوذاتهم وبزاتهم السوداء جداً وأحذيتهم الغليظة جداً، بدروعهم وعصيهم يدخلون إلى قاعة المسرح، وعلى الرغم من تعودهم على الوقوف إلا أنهم لم يتمكنوا من الانتشار إلا بالجلوس على نفس مقاعد الباشوات والدهماء، جلسوا منتصبين بنصفهم الأعلى وعصيهم إلى جوارهم، متعبين، منهكين، مشدودين، وأيضاً خائفين، هم دائماً عبيد، مأمورين، لا يدرون ما يريدون أو ما يراد بهم، قليلوا التعليم أو أميون، لا يبتهجون ولا يزعلون، لكنهم أدركوا أنها

غنى الجُند وراءها، كانت شفاههم غليظة للغاية، أصواتهم
مبحوحة، جوعى ومرهقين، لكنهم وبكل غلاظتهم، كانوا نغم.
ولما دوى صوت كالرعد، قاموا من قعدتهم وأشهروا
عصيهم، دبوا بأحذيتهم الغليظة على الأرض الخشبية فدوى
صوت فظيع، كان الصوت الذي كالرعد صارخاً في عنف آتياً من
بين الكواليس، كانت العربة الكارو والبغل والعرجي، تمرّ
كالطيف والزلال، كالبرق والرعد، كالسحاب وكالطير الأبايل.
ولما تحركوا ليهجموا عليها .. اختفت وتبخرت ... جروا وراءها
خارج المسرح ... اندفعوا في جماعاتهم شبه المسلحة على
الساحات الخضراء والرخامية بين المسارح العريقة، واختفوا من
نفس الفتحات التي جاء منها الغوغاء.

* * *

على شاطئ النيل، ساعة الفجر التالي في اليوم التالي، خلت
الدنيا من المارة تماماً، تبخر البغل وشغل الجرس على رأسه،
اهتز الورد على جانبي أذنيه، تمهل إلى جواره العرجي، نفث
دخان الباب مرتين مدندناً :

نعم ... يا حبيبي نعم ...

أخرج من جيبه نوتة صغيرة شبيهة بتلك التي يسجل فيها
المخبرون ملاحظاتهم، كتب بخط أنيق.

■ أيها الوطن الجميل أنا لست نغمًا بين شفايفك، ولا أنت

نغمأ بين شفايفي، ها هي أحمالنا وأوزارنا وضعناها سوياً على
ظهر العربة الكارو.

جرّ البغل العربة، جرّ العربي البغل، كانت الأحمال ثقيلة
ثقيلة للغاية، لكنهم جرّوها، تهادوا على الخط الضيق المرسوم بين
كورنيش النيل، وساحات الفنادق الشاهقة ... تلك التي كانت قد
اعتدت على حرم النيل ... فعلاً .

أغسطس ٢٠٠٥

وشوشات

أحلام ناهد

جلست على كرسيها مرتاحة تطالع زوجها بوجه بارد وملامح صامتة، لا تحرك أي من أجزاء جسدها، تنصت إليه صاغية وهو يفعل.

قال سمير وهو يهم إلى الأمام بجسده الضخم، متحركاً قليلاً إلى طرف كرسيه. قال في كلمات مضغوطة أن ناهد امرأة غير مستقرة، وأنها رغم كل ما يفعله لا تقدره، لأنها لا تحبه، وأنها امرأة حالمة تعيش في عالم مصنوع من وليد توفيق المغني وحسين فهمي الممثل.

خرجت ناهد عن صمتها المحسوب، لم تتحرك من كرسيها بعد، نطقت كلماتها بوجه بارد:

■ نعم أنا أعشق في وليد توفيق وحسين فهمي الرقة والوداعة، وأكره فيك الفظاظاة والتوحش.
تجهم وجه سمير قليلاً، مال ظهره إلى الخلف قليلاً على

الرغم من أن مقعدته كانت ما تزال على طرف المقعد، قال:

□ إنك تريدان رجلاً يكاد يلمس بالكاد شفتيك فتعتقدين أنه يقبلك، رجل يقف وراءك يكاد يلمس ظهرك فتظنين أنه يحتويك، إنك امرأة غريبة. دعيني أعترف لك بأنني أفضل عنك هياثم الراقصة الممثلة ؟ نعم ...أفضلها ألف مرة.

نهضت ناهد من على كرسيها المواجه لكرسي سمير، بانث على وجهه بعض علامات الترقب لما يمكن أن تفعله زوجته، تمهلت قليلاً، أعطته ظهرها، خاطبت الحائط والصور المعلقة وقالت في صوت متهدج:

■ سمير .. أنا لا أكرهك، لكني أحبك مثل المرحوم بابا بالضبط، أنت مثله في كل شيء، تمشي مثله وتصلي مثله، فكيف أنام معك وأنا مرتاحة مستجيبة.

عقدت الدهشة لسان سمير . كانت ساقعة اليسرى محنية إلى الخارج قليلاً، يدها تقبضان على ساعدي المقعد، وكان وجهه بارداً يبدو وكأنه خالياً من الانفعال، مصدوماً وغير مصدق أن المرأة التي تزوجها منذ عشرين سنوات كانت ترى فيه أبيها، وأن نومها معه كان من قبيل الواجب فقط لا غير . وأن الأولاد الثلاثة قد أتوا بالصدفة.

بلع ريقه وقام، حزم حقيبته حتى امتلأت. قال لناهد في اقتضاب أنه ذاهب لزيارة أمه زيارة طويلة.

لم تودعه، ولم تتحرك من مكانها، غير أنها بعد أن تأكدت من رحيله، خلعت ملابسها القطيفة المزركشة، تركتها على أرضية الصالة تغطي حذاءها.

كان الأولاد الثلاثة عند أمها، وكانت وتذكر أن ليل الشتاء بارد وقارص وطويل. مضت إلى غرفة النوم. استلقت على الفراش المتسع، فرشت نفسها عليه، مدت ساقها وفتحتها حتى لامست قدميها زاويتي السرير السفليتين، مدت ذراعيها ويديها إلى زاويتي السرير العلويتين، تنهدت في عمق ثم أغضت عينيها.

كان ضوء الغرفة خافتا، وكانت تنصت إلى أغاني عبد الحليم حافظ، تخيلته يأتي ليمر فوقها، فوق شفتيها بركة. تأملته يدخل ويخرج من النافذة، شاهدت ضوء الفجر يلون الستائر البيضاء بزرقة خفيفة، ولمحت في طرف الغرفة بنطلون سمير معلقا على الشماعة، منتصبا بالحزام داخله كحرف الألف، ضحكت في صوت عال لم تتعوده، فعاد الصدى من الجدران الأربعة. غطى على استرسال أغاني عبد الحليم الرقيقة. تمرغت في أغطيها الحريرية، مستمتعة بالكسل اللذيذ، ممسكة بصدرها تضغطة في رقة، تدفن رأسها الوسادة مغرقة وجهها البارد بدموع ساخنة محولة الثلج فيه إلى ماء، تنصهر عند ذوابات شعرها شموع كانت قد أطفأتها في الليل.

رفعت رأسها في تلك اللحظة، وعند فتحة باب المواردية رأت
صورة أبيها بجسده الضخم يطل عليها ويسألها:

■ مالك...مالك يا ناهد!!

صرخت فاخفت الصورة .

انحنى لتدفن وجهها مرة أخرى في الوسادة، طالعت صورة
سمير بجانب الأباجورة المغطاة، بوجهه العريض وقميصه
المفتوح وعينيه الحائرتين، وفمه المنفرج قليلا.

لم تعرف إن كان يريد تقبيلها في رقة وليد توفيق، أم أنه
سيلتهمها كما تعود وكما رفضت دائما؟؟؟.

مارس ١٩٩٠

(عندما تمشط امرأة شعرها فإنها تقلد حركات دوران النجوم)

المرأة التي تمشط شعرها...

مشطت شعرها وتركته يبحر عليها يتمدد أمام نحرها ويسترسل على صدرها، تتأمله على ساحة المرأة أمامها ثم تخرج عن جلستها المتأمل، تقوم من قعدتها المسترخية، لتقف في هيئتها النحيلة، تتمشى على أرضية الغرفة الخشبية، تنهدى كنخلة باسقة متكبرة متعافية تدق الأرض بكعبيهما النحيلين. تدلف إلى الصالة المباحة أمام ضوء النهار المبهر المتوهج المتكثف في مستطيل نهارى وضاء يدخل بحجم مساحة النافذة العلوية المفتوحة للشمس للهواء وللصمت الخارجى يدخل مع النسائم الى البيت يشقه ويجرحه.

وقفت ونظرت إلى مقعد آخر على طرف مستطيل الضوء الشمسي وفي نهاية مرمى النافذة للخارج جلست عليه مثلما جلست عليه على مقعدها أمام المرأة، ركبناها متبئتان على ساقيهما الطويلتين على جانب، وعلى استحياء وكأنها في حضرة من يهمه الأمر سمحت للشمس أن تنفذ إلى ثنايا شعرها وإلى مسام جلدھا،

تدغدغ كيانها كلة وتشيع الدفاء المادي إلى داخلها المتوتر المتقلب.

جاء صوت كامل من الداخل، متسائلاً عن علب الطعام وعن الفتّاحة وعن الخبز، جاوبته متمهلة متململة وهي بعد ساكنة لم تتحرك من مقعدها. وضع طعامه أمامه على الطاولة الممتدة وشرع يأكل ويمضغ ويسألها من بين لقماته المتعددة عن سر ضيقها وتعبها.

كانت قليلة الكلام خجولة هامسة. فخرجت العبارات من شفتيها بطيئة متأزمة تسقط على شعراتها المسترسلات على صدرها، وتتبعثر على أناملها الطويلة على رجليها.

رفت عنها نظرة الى خارج النافذة المفتوحة فأكلت الشمس ناظريها فرأت الألوان برتقالية حمراء، ورأت الدنيا سوداء، فاشاحت بوجهها وتمهلت بوجهها وتمهلت مطيلة النظر إليه وهو ينهي طعامه.

قالت :

■ ألسم تلاحظ ذلك الجار المتعمد النظرة، الجارح الوقفة يطل من شرفته على مقعدي ويسترسل في تأملة الوقح يوماً بعد يوماً. مسح شاربه وشفتيه. ثم قال:

□ ما لك صرت سيئة الظن بالناس يا ليلي!

همهمت وحركت مقعدها بحيث تكون في منتصف الضوء

تململت في جلستها بحيث تعتدل في قامتها وتطرد الاستحياء عنها،
خالقة التحدي في صدرها، شامخة الى الأمام تنقد انتظاراً للشر
الآتي.

قالت:

■ مالك انت يا كامل صرت كالخروف تحبني كالدمية
الجميلة وتحرص عليّ حرصك على أضرار قميصك الذهبية، ولا
تعطيني منك الا امتلاكك الأناني، أين منى تلك الغيرة المحمومة
المحبوبة التي أقرأها في عيون الناس؟!

ازاح كامل الأطباق وبقايا الطعام. تقدم الى مستطيل الضوء
الشمسي، وأطلّ على الشمس وعلى الدنيا وعلى ليلى، كانت قد
عادت إلى جلستها الأولى، ساقاها على جانب وكعباها يلامسان
الأرض وشعرها هادئ مستكين، كانت يدها اليمنى على بطنها،
وكانت تنوجع دون صوت. رفعت يدها اليسرى بمشط وردي
كبير، مشطت به شعرها الطويل.

كان الضوء الشمسي قد اختفى وكان الليل قد حلّ عنيفاً
وعميماً وكان كامل قد ذهب الى عمله الليلي يحرس المكان المهم،
أما الجار الوقح فلقد كان يطل برأسه من بين النجوم التي غارت
من ليلى وهي تقلد حركتها.

مارس ١٩٨٨

الأغنية

جلست تنكفأ في راحة كسولة على صينية الأرز، تسقط عليها
أشعة الشمس المظلة من الشباك تنقيه، تتأمله، تفرزه، تخرج منه
الدخيل المكسور تسقط عليها الشمس، وتبقى على الكامل
والصحيح والجميل الطلعة، تلمه في يدها في ركن وتعمل بأناملها
الرفيقة فيما عداه وكأنها تعزف على البيانو لحناً صوفياً.

تسقط شمس الشتاء الخجولة على سهام، على منديل رأسها
الملفوف وحببات السرتتر المتدالية وعلى شعرها تخشخش مع
حركتها ومع حركات حبات الأرز تسقط الشمس على جزء من
الصينية فتعكس ضوءها في عينيها المتقدتين أصلاً.

رمت سهام الأرز الدخيل إلى الشارع، ورمت بناظرها إلى
الحارة الممتدة الملتوية المزدحمة.

كان اليوم، يوم أحد، وغالبية الأسطوانات في أجازة، والأولاد
في المدارس، وكان حسن قد ارتدى أفضل ما عنده، غسل رأسه
وسرح شعرة الأسود الكحيل إلى الخلف فبان شبيهاً بممثل السينما

القديم جاري كوبر. تقدم داخل الحارة يشبع منها ويرتوي من
شتائها الحنون.

كانت سهام تندن بأغنية حفظتها عن ظهر قلب:

■ يا ترى يا ربّي هو ده والا لأ.... حبوبي ...

كانت الدندنة تسمع جلية رغم همسها وسط سمت الحارة
تسمعها أذان حسن المصغية لحركات حبات الأرز فوق الصينية
ووقع أنامل سهام المنقبة.. رفع رأسه إلى الأعلى وقال:

■ يا عين الحبوب من جُوه .. يا سبب وعدي ومكتوبي

ابتسمت سهام وردت نصف الشباك فاخفت وراءه بحيث
تَرى ولا تَرى... تأملته مليًا وشبعت بكل جوارحها، قال حسن
دون غناء:

■ أنا من النجمة في انتظارك....

ردت سهام بسرعة:

■ أنني نازلة...

فالتفت حسن يمينا وشمالا ... تطلع إلى كل البيوت وقال

مغنيا:

■ ياه... أما نهارك أبيض من طبق القشطة.

تقدم إلى الأمام وانزوى داخل عطفة أكثر هدوءا فلحقته سهام

ترفل في ملاءتها اللف... تمضغ اللبان تهمس في أذنه:

■ إوعى يكون حد شايغنا.

ضحك حسن عالياً ممسكاً بيدها ضاغطاً عليها في عشق
محموم ثم سألها:

□ إنتي خايفة؟

هزت رأسها. فأصدرت حركة الترتير جواباً سمعه حسن بكل
انتباه.

سارا جنباً إلى جنب، فأجابته سهام عند خروجها من الحارة
إلى الشارع بسؤال قاطع:

■ تعرف أنا خايفة من إيه يا حسن... أنا بخاف أقرب من
أي حد... باخاف على اللي جوايا... ماعرفش، ماحبش أبقى
أسيرة.

ركل حسن حجراً منتثراً، ركله بقدمه، بسن حدائه فانتفض
واندفع الحجر إلى الرصيف المقام حديثاً... قال حسن:

□ وأنا كمان خايف يا سهام كل ما أقرب منك كل ما أحس
إنسي مسئول أشيلك معايا فرحي وحيي وكل حاجة حلوة. وأخاف
تهرب مني في الزحمة لحظة حزن أو تعب أو قرف...
حكاية بدأت في الشرفه

تطلعت سهام إليه. فتطلع إليها تعانقت نظراتهما فابتهجت
وابتسم فبادرت تقول:

■ بالضبط كده... زي ما أنا بنقي الرز...

ضحك حسن وتمهل عند بائع الترمس، وعند بائع

الكوكاكولا.... جلس على سور الكورنيش مشيراً إلى جانبه،
داعياً سهام لكي تجلس إلى جواره... غير أنها فضلت الوقوف
راصدة تعابير وجهه.. تسريحة شعره، لون بشرته، ملبسه،
رائحته، رسمه العام والخاص، وهو يذوب أمام عينها في صفحة
النهر الساكن جداً (سكون الموت الساكن)، تعطيه البهجة ألوان
فساتين البنات وسترات الأولاد، تعطيه الحياة صورة حسن المنسقة
المرسومة على صفحته... فأجابته سائلة:

■ يقولوا إنك راجل غاوي، بتزهق من الست بعد ما تحبها.

قال حسن وهو يمسك كلتا يديها بيد واحدة :

□ يمكن بس مش زهق ده حب والحب فضيحة بتعري،
يعني بيتكشف الجوهر من المظهر، وأنا أسطى ميكانيكي أحب
المعدن الأصيل، وأحب أصونه.

قام واقفاً يوازيها، فاضطرب تنفسها، همس في أنفها:

□ خلتها الروح أمانة عندك... إمتى ممكن أقابلك...

صاح بانع السميطة وبائع الشراب، صهل خيل الحنطور
المتهادي، ووشوشت العصافير بعضها فتحركت صفحة النهر
قليلاً، غنت سهام على صوت الترتر فوق رأسها متناغمة مع
دقات شبشبها.

■ يوووو... يادين النبي... ما أنا لسه مقبالك امبارح....

أجاب حسن وهو يركل حجراً آخر، هذه المرة في اتجاه

الشارع المزدهم جداً، السريع جداً، المضطرب جداً.
ما تفكرنيش ... أما دي فعلاً كانت ليلة في غاية
الرقّة.

مايو ١٩٧٧

؛

الرجل والمرأة

رقد على ظهره، على سريرہ البارد، ممتنع الوجه، صاحب اللون، تظهر العروق واضحة منتفخة زرقاء مخضرة على ساعديه وساقيه.

مدت يدها إليه، لمستہ، وجدته قويا عفياً يفح بالرغبة ويمتلئ بها.

لم يعرف أحد ماذا ألم به، هل هو مرض صدري مزمن، أم مرض خبيث أكل من رئتيه، ورغم البحث ورغم الفحص، فلقد رقد الرجل على ظهره، يأكل وينام، يبول ويسعل، هكذا لأشهر طويلة.

لمسته مرة أخرى، فوجدته دافئاً مستقراً فدعته إليها فانقض، قام من نومته يضمها بجسده دون ما عاطفة، يفرغ شهوته في برود، سعل سعلة قوية، ثم ارتمى بلا حراك.

نظرت إلى السقف وهي نصف مشبعة نصف حاملة صائحة: معقول!

عاد راقداً على ظهره، لمست عينيه وتلمست عروقه الزرقاء
المخضرة ثم أدارت قرص الهاتف:

■ أمي... هل تصدقين أنه مات بعد أن صحا....

تهدج صوت الأم مجيبة في عنف:

□ غط وجهه بالملاءة واصرخي كما تفعل النساء...

وضعت السماعة وأدارت القرص مرة أخرى وقالت:

■ تصور أنه مات وهو يتدفق....

صاح بصوت الأجنس:

□ لا تفضحيننا البسي السواد، وارسمي الحزن على وجهك.

وضعت السماعة وقامت، نظرت إلى جسدها الممشوق في

المرأة المستطيلة. رأت في الركن النائي جسده المسجي، ورأت

وجهه الممتقع وكأنه يغمز لها. ثم استرسلت تغني أغان رقيقة

كانت قد سمعتها من ابن الجيران وهي طفلة.

أبريل ١٩٩١

الرجل الرجل

دَوَّتْ كلماتها في أذنه، لم تبرح رأسه وهو في طريقه إلى مقهاه المعتاد ليلعب (الطاولة) لعبته المفضلة مع أصحابه كل ليلة. كانت كلماتها قوية ونافذة وغير عادية:

(لراجل مش راجل بشهادة الميلاد، ولا لأنه راجل قدام الناس .. ولا لأنه تشريحياً راجل ... الراجل راجل لأنه المرأة اللي معاه بتحترمه لأنه موقف واحتمال، وأنه راع وأمين، قادر ومحتمل).

عاد من منتصف الطريق، فتح الباب في إصرار شديد، صرَّ وخبط في الحائط المتآكل خلفه.

كانت تجلس في زاوية الصالة تشتغل بالإبرة التريكو والخيوط المتكورة، نظرت إليه في دهشة، نظر إليها في استغراب، كانت تضع ساقاً على ساق، وتبدو وهي تسند ظهرها على المقعد دون مبالاة، متحفزة له، ترك الباب مفتوحاً، ترَجَّل إلى الأمام قليلاً، وقال بصوت عال:

- (أنا راجل غصب عنك وعن أهلك).

نظرت إلى خيوطها، وإلى إبرتيها الطويلتين، وإلى ركبتيها الطالعة من ثوبها القطني الفاتح، اشتغلت في حركة سريعة متمكنة، تقف وتتمهل ثم تعود لتشتغل. تذكر أنه كان قد ضربها في السابق مرتين وأنها بكت بشدة، أحسّ بطاقته تفوق إمكاناته في الصبر، أحس بغضبه يتمكن منه ويصبح غيظاً ممجوجاً وألماً فظيماً ليس له حد أو شعور، غيظ حاجز متفجر انتفض فيه فجعله كالثور الممسوس، وكالطير الهائج يخبط جناحيه في الهواء وفي الحوائط.

تقدم إليها حتى صار قبالتها، نظرت إليه في هدوء، خطف منها الخيط والإبرتين ورمى بهما إلى الأرض، ابتسمت في هدوء قاتل وقالت:

— الراجل مش راجل يتفوقه على المرأة. الراجل راجل بتفوقه على نفسه، على شهواته، بتطويره لنفسه، الراجل مش راجل بشهادة الميلاد.

توترت عضلات يديه واحتقن وجهه، مضى من الباب مسرعاً إلى الخارج بحث الخيط غير قادر على الفرحة بجسده الممتمل بالحوية، وبنفسه المشتعلة بالحماسة. نظر إلى الخلف وإلى أعلى، فألفاها واقفة في الشرفة وكأنها تودعه بإصرار على أن تظل كلماتها لصيقة به وأن تلاحقه في غووه ورواحه، في لهوه ودنياه. وكانت الدنيا مغيباً والشمس تتوارى في بطن خلف البنائيات

القديمة، تترك على حوافها العليا من نواحي سطوحها إطاراً من الضوء المستحي المختفي الزائل.. تذكرت وقفته ووقفها في شرفتها منذ عشر سنوات، وتذكرت أيامها الخطوة واختياراتها البريئة، تذكرت الرجل الرجل الذي كان يزود عنها ويدراً عنها معاكسات الصبية، تذكرت الرجل الرجل الذي كان يكسوها بحنانه فلا تجوع ولا تنظماً.

ارتخت قبضتي يديها على الخشب وانسحبت من شرفتها إلى غرفتها، أمسكت مرة أخرى بخيوطها وإبرتيها، وظلت تطالع شاشة التلفزيون دون أن ترى شيئاً.

جلس على مقعده المعروف، طلب شرابه المعتاد، أمسك بالنرد ورماءه في عصبية، حرك الدوائر والدوائر، شغل ذهنه بالصياح والأغاني والضجيج، تملل وهدأ، تحرك ولعب، لكن كلماتها لم تتركه، ولم تبرح رأسه، فقام من على مقعده، فقال زملاء اللعب في أصوات مختلفة:

— (خير .. خير يا أبو احمد...؟)

رد في اعياء:

— (خير إن شاء الله.. بس تعبنا شوية).

كان الليل قد حل، وخفت حركة البيع والشراء، وكان رأسه يدور كوابور الطحين، طلع الدرج في تباطؤ وفي ضعف، فتح الباب ودخل، نظرت إليه وهي مازالت تشغل وتطالع، مضى إلى

غرفته، تناول حبةً اسبرين وجاءه صوتها من داخل رأسه عنيماً
كأنه الصدى، قوياً يحدث الصمم:

(الرجل اللي يستمد قوته من ضعف المرأة مش
راجل...الراجل مش راجل بشهادة الميلاد)

ارتقى على فراشه بين الإعياء والنوم، تنهت إليه أصوات
التلفزيون. كانت طاقته تضج بين صدره وأحشائه، وكان عرقه
يتصبب غزيراً...تأكل كأوراق الشجر... أما هي فكانت تزدهر
في الصالة كالزهر اليناع، تزدد جمالاً كلما تقدم بها السن، وكلما
أيضاً.. ازدادت غضباً..

أبريل ١٩٨٨

حديث المرأتين

كان من الصعب تحديد عما إذا كانت الحمرة على وجهها من
تورّد خديها الطبيعي أم انها التأثير الحاذق للمكياج البسيط الذي
كانت تتقن وضعه في حرفة بالغة.

كانت مهيبة الطلعة، ضخمة الجسد، تبتسم وهي تخطو؛ فتتفد
الى قلب محدثها بتمكن هذر، وكانت تخفي منها أكثر مما تظهر،
فلا يبدو سوى وجهها الضحوك ومقدمة شعرها المصفوف في
عناية.

جلست وتأملت وتنهدت ثم قالت:

— يكبرني حسن باحدى عشر عاماً، وأول ما أعني أنني كنت
في الثالثة وهو في الرابعة عشر، إذا جريت جرى ورائي، حملني
بين ذراعيه ودغدغني؛ فأظل أضحك وأركل بقدمي الهواء حتى
يتركني وشأني.

ابتسمت محدثتها وانفجرت أساريرها، وانشغلت عنها بتغيير
قنوات التلفزيون، ثم سألتها:

- طيب.. تشربي شاي ولا قهوة؟

ردت بسرعة:

- شاي.. وبالنعناع.

قامت مضيفتها تنمهل الخطى إلى مطبخها، غرقت إحسان في عالم تصنعه اللحظة، تغزله من الماضي وتغسله بدموع العين حتى دخلت عليها صاحببتها بالشاي، تسألها عن دموعها المنحدرة المنطبعة على خدها المتورد، فقالت إحسان:

- أبدا.. بعد إحدى عشر عاماً أخرى صرت أربعة عشر وصار هو خمسة وعشرين.

ندت عن صاحببتها ضحكة عالية وقالت:

- وتزوجتما..

قالت:

- نعم، وليلة العرس وضعت ذراعي في ذراعه، ووجدته غير ذلك الولد الذي حملني، تأملته فوجدته صغير السن.

ضحكت صاحببتها مرة أخرى وقالت:

- يعني في البداية كان فيه مشكلة..

ردت احسان:

- نعم.. والمسيرة مشكلة، وكل يوم أنتظره أن يحملني بين ذراعيه فلا يفعل، أجده دائماً يرحل.. ويعود ثم يرحل..

نظرت المرأتان في عيون بعضهما، أومأت صاحبة
فاسترسلت إحسان قائلة:

— عاملته بالضبط مثل سي السيد، استقبلته عند الباب، حملت
عنه أغراضه، خلعت عنه حذاءه، قبلته في جبهته، فما ابتسم وما
انتظر، لكنه كالعادة أكل ونام ثم صحا وتعطر وخرج ثم عاد لينام.
كانت صاحبته تبتسم ابتسامة يشرئب معها عنقها في فضول
متشوق متسائل:

— وبم كنت تحسین وهو يحملک بین ذراعیه؟
ردت:

— كنت أحلم وأصرخ وأتمنى أن يتركني ولا يتركني..
التفتت إحسان إلى مضيفتها متسائلة:

— إنما أنت لم تخبريني عنك وعن زوجك؟
ابتسمت ثم ضحكت والقت برأسها إلى الخلف وقالت:
— زوجي يملؤني بكل شيء، يضع في حجري الجواهر، يزين
شعري باللألئ، يعشقني ويتزوجني كل نهار وكل مساء، لكن..
تقدمت احسان إلى الأمام مهتمة متسائلة:
— ولكن ماذا بعد كل ذلك؟ ...

صمتت مضيفتها وأطرقت ناظرة إلى جوربها النسائي الشبكي
ذي الخيوط اللامعة، وإلى حذاءها المرتفع المفضض وقالت:

— نعم، إنه يشتهيني من خلال عيون الرجال الآخرين، يطفئ
غيرته في جسدي فألتفت حوالي فلا أراه في أي شيء فأحس
بالعطش والاختناق.

تذمرت إحسان، بدت مندهشة غير قادرة على الفهم فبدأت
تغير من قنوات التلفزيون، تبلع ريقها في صعوبة وعصبية،
وتستمد بعض الصبر والهدوء من قبضة يدها على كوب الشاي...
تتهددت إحسان، تركت كوب الشاي، وتركت الريموت، تهدلت
يهاها، ثم بكت بصوت عال.

توترت صاحبته، تقدمت إليها، تمسك بيديها وتجنف دمعها
فارتعشت وانتحبت معها، ومن بين عبراتها قالت إحسان في
صوت متهدج وصدر يعلو ويهبط:

أنا خائفة.. لست خائفة من ارتكاب حماقة، لكني لا أرى
من خلال سحابات دموعي وأخشى أن تنزل قدمي، فأجد نفسي بين
زراعين يحملانني فلا أركل ولا أصرخ.

نبح كلب خارج البيت، زمجرت سيارة، أعلنت مذبة
التلفزيون عن المسلسل الجديد، كان وجه احسان محمراً محتقناً
بانفعال البكاء وكان وجه مضيقته مصفراً مرتعشاً.

خرجت إحسان بجسدها الضخم من الباب، خرجت وراءها
مضيقتها تودعها .

سبتمبر ١٩٨٧

المواجهة

كانت قد عقدت العزم على أن تواجهه، وجهاً لوجه.. صممت على تلك المواجهة وحضرت لها زمناً طويلاً.. اختارت اللحظة المواتية وهي عائدة من عملها في المساء، مجهدة، تجرّ ساقها، تصعد الدرج، سائدة على السور الخشبي، تسند بيدها عليه، وكأنها تتشبث به، وبين الطلعة والطلعة يطلع باطن حذائها حافة العتبة بالكاد، وتكاد يدها الممسكة أن تترك مكانها لترتفع إلى فوق، لتنتقل، ولينقل جسدها كله، مزيحاً أعباء النهار، متبرماً من أعباء الليل، وكأنها الدهر في مسيرته، كهل يوازي الخطوات باللهات، بالتوتر السريع، وبحبات العرق التي مالبثت أن جفت بفعل رطوبة المكان..

فتحت، صرّاً الباب، أراحته بجسدها، انزاحت إلى الداخل، وألقت بنفسها إلى حضن الصالة الكابية الضوء، ذات الرائحة العجيبة المؤلفة من بقايا الأكل، الغسيل الذي لم يجف، وعطن خشب الأثاث.

كان رشدي يجلس على طرف مقعد خشبي ملاصق لمنضدة
الطعام المربعة المفروشة بمفرش ذي مربعات حمراء وبيضاء
كبيرة ومزعجة، تتناثر عليه ذرات الخبز والطعام.. تدور وتطير
ذبابة حيزى تطن، تكسر حاجز الصمت المُرَوَّع. كان رشدي يسند
رأسه بيده محملاً في بقايا الطعام، في مربعات المفرش، ويشم
بطرف أنفه كل الروائح دونما مبالاة..

رفع رشدي رأسه يتأمل دخول نوال المتعب المتكاسل، لكنه
مالبث أن أطرق برأسه، أسندها بيده، وغرق في تأمله المليء
بالشجون.

تقدمت إليه حتى اقتربت منه، وصارت المنضدة بمربعاتها
الحمراء والبيضاء بينها وبينه.

رفعت يدها في الهواء وقالت

- اسمع يا رشدي!!

رفع رأسه في بطاء شديد جداً، نفذ ببصره إلى بؤبؤ عينيها،
ولم ير إلا دوائر الإجهاد الزرقاء تحتها. ولم ينتبه إلى أن نوال
قد تقدمت في السن فعلاً، وأنها بالفعل قد صارت عصبية، وأنها
لا بد أن تتشاجر حتى تتعب وتنام..

ردّ في بؤس مؤلم مزعج منفرد:

— نعم يا نوال!؟

اقتربت منه أكثر، أسندت يدها الأخرى بذراعها الممدودة
على المنضدة، فكانت لم تزل تُلَوِّح باليد الأخرى في الهواء قائلة:
— لا تظن أنني سأستمر في إعداد طعامك وتقديم شرباك،
غسل ملابسك الداخلية وكي قمصانك، ثم أنام لك في أول الليل
وأستيقظ لك في بداية النهار، أتزين لك وأنا مكدودة. آخذك داخلي
وأنا أرفضك حولي..

ابتسم رشدي وهو يمسح شعره الكثيف المسترسل بيده
اليمنى، تطلع إليها وقال:
— لكنني لن أتخلي عنك..

— أنا قدرك الذي لن تنفصلي عنه؟!
ضربت بيدها اليمنى على المنضدة ذات المربعات الحمراء
والبيضاء فتناثرت بعض ذرات الطعام في الهواء تخط في وجهه،
ثم قالت:

— وأنت، تستطيع أن تسعدني، فأسعدك ألف مرة، لكنني أجزم
أنك مجرد بغل يتنفس ماحوله، كل ماحوله، حتى الروث في
تعاسة وسعادة، غير قادر على الفصل بينهما.
ضحك رشدي في سخرية.

بكت نوال في عصبية.
دخلت إلى الحمام وطالعت وجهها في المرأة، تحسسته،
مسحت على عنقها، شددت صدرها إلى الأمام، لكنها مالبتت أن

إنحنت وتقيأت حتى تعبت فنهضت، وأعادت تأمل وجهها المختنق
في المرأة...

كان رشدي واقفاً بطوله الفارع، يسند كلتا ذراعيه على سور
الشرفة يسدّ عن نوال ضوء الغروب وحركة الشارع، كان
كالتمثال الرابض، كالميت الواقف، بلا زمن وبدون ارتواء.

أغسطس ١٩٨٨

حكاية بدأت في الشرفة

قالت سالي له، وهي تحديق فيه ككل:

- لولا إدراكي بجلالة مكانتي لديك لظننت بك السوء في مواقف كثيرة، أحكي لك كل شئ حتى تفاصيل أحلامي وبواعث تعبتي وهمي وأكلي وأنت...؟؟!!

قاطعها ماجد قائلاً وهو يمسك بحديد الشرفة مطلاً على حركة السيارات البطيئة في الشارع وأيضاً على المارة وعلى الشرفات الأخرى التي حرقت حوافها الشمس، وانتشرت على بعضها الملابس التي تنتظر الجفاف، قال:

- وأنا أيضاً أخبرك بكل شئ..

ضحكت وهي جالسة مستلقية على كرسيها الخيزراني دافعة قضبان سور الشرفة بقدم واحدة، تدفعها تلك القضبان مرة أخرى وكأنها رغم علمها بصلابتها، وبأن القضبان تستمد قوة من الاسمنت والبناء والحجارة، إلا أنها كما تعودت مشاغبة تحاور

حتى الجماد، حوار القوة الصماء، وأيضاً الحوار الخالي من أحقاد الصراع البشري وعنفوانه النفسي المتهيج، قالت:

— نعم تخبرني ولكن أحياناً، بالقشرة دون اللب، ربما ليس عن عمد، لكنه التحرك المحسوب للا شعور الذي يغلي لديك..
ضحك مرة أخرى، تطلع للأولاد الذين استباحوا الشرفات ملاعب لهم، مرة للكرة، ومرة للعراك، ومرات لمشاكسة المارة بقذف النوى والعلب الكارتونية، وأحياناً برسّات الماء البسيطة.
قال:

— أحس بالخجل، بالوضوح المفضوح، وبالتعري أمام الآخرين حينما يرون وجهي...
أنزلت ساقها وقدمها بحدائنها اللين ذي الكعب الواطئ من على السور إلى الأرض.
قالت:

— هنيئاً لك بتبدل وجهك ألف مرة بألف انفعال، تبجر مع المشاعر فتبدو أمام مستقبلبك طفلاً وكهلاً ومنتقلاً في رحلة العمر كالومض والوهج، ما أحلاك وما أبدعك وما بختك!!..
بانث عليه الدهشة، وبان عليه التعجب والفرحة المغرورة، تبدلت ملامح وجهه وصوت تنفسه، ضحكت لأنها رصدت تأثير تصرّجاتها.
قالت له:

— ليس لدينا عشاء، هيا بنا ننزل إلى السوبرماركت
المجاور...

تركا الشرفة وتحركا في اتجاه الباب، توقف المصعد فتوقف
صوته، انفتح وسمعا صوت مناقشة، كادا يعودان لكن الفضول
دفعهما فدخلوا ووجدا زوجين يتحدثان بصوت عال، لم يتأثرا
بوقوف المصعد ولا بدخولهما، واستمرا في مناقشتهما، يبدو أنهما
كانا قد تشجعا بوجود رجل وامرأة آخرين داخل الصندوق
الكهربى المتحرك إلى أسفل.

كان الرجل يقول للمرأة:

— المرأة دوماً هي السبب.

والمرأة كانت ترد:

— بل إنه الرجل.

صرخ في وجهها، بانئت وجوه الأربعة في مرآة المصعد
وكأنها مشهد سينمائى يغطيه الضوء الكابى والأنفاس الدافئة ..
قال:

— كيف هو الرجل؟! لقد كان مدحت يحب سلوى حباً جنونياً،

تزوجها وظل عاشقاً لها حتى طلبت الانفصال.

قالت المرأة في حدة:

— لا بل كانت سلوى تحب مدحت، ثم صارت لاتحبه ولا تكرهه، ثم كرهته، لقد أصبح كالدبة التي قتلت صاحبها عندما ضربت الذبابة الواقعة على وجهه وهو نائم. انفتح باب المصعد، خرج الرجل والمرأة، تابعهما ماجد وسالي.

قال الرجل للمرأة:

— لقد كان مدحت يعشق سلوى بجنون إلى درجة أنه كان ينتشق عطراً خاصاً من ملابسها المتسخة. صاحبت المرأة وقالت:

— نعم ولهذا ظلا سنوات طويلة دون أن ينجبا .. العلم يقول أن المرأة إذا لم تحب رجلاً من داخلها وترضى عنه، يصعب أن تتجب منه ...

قاطعها الرجل قائلاً:

— والدليل.؟؟؟!

قالت المرأة:

— الدليل أنها عندما تزوجت من سالم أنجبت فوراً. مشيا على الرصيف المزدان بأعمدة الإضاءة، استمرا في الحديث، قال الرجل:

— سلوى كانت تعرف زوجها الثاني وهي بعد على ذمة مدحت.

توقفت المرأة قائلة:

— غير صحيح، ظلت سلوى امرأة مخلصه رغم أن الحب خنقها، ولما انفصلت عن مدحت ومرض ظلت تعودته في المستشفى مقدمة له الزهور يوماً بعد يوم.

مضى الرجل والمرأة الى داخل السوبر ماركت، واختفيا في الزحام وغالباً كانا قد توقفا عن الحديث ..

امسك ماجد بيد سالي وتأمل وجهها المضاء، قادها عائداً إلى مدخل العمارة فتوقفت متسائلة:

— الله .. ألن نشترى العشاء؟

— لا.. ليست لي نفس لتناول الطعام.

هزت رأسها وقالت:

— لا تتأثر كذلك بما سمعت، المرأة لا تريد رجلاً يعشقها عشق التمثال، ولا متيماً مثل قيس ولا ضعيفاً يذوب في ملامحها وجسدها، إنها تحتاج إلى رجل يحبها كامرأة ويغزوها فكرياً كل صباح وكل مساء حتى لو لم يتحدث إليها .. رجل يضيء حضوره عليها الجلالة والهيبة .. رجل يسيطر على دقائق تفكيرها فتطرز من أحلام يقظتها ومنامها أحلى السترات التي تتدثر بها خارج وداخل بيتها.

ابتسم فضحكت وقالت:

— نعم جل مأخشاہ هو تلك النافذة المفتوحة في عقلك، تلك
التي تفتتن بالمرأة التي قد تعرف مفاتيحك، أو على أقل تقدير ..
تفهم انك تحمل مفاتيحها.

صعدا الدرج إلى شقتهما، توجها إلى الشرفة، جلس ماجد
على الكرسي الخيزران يدفع قضبان الشرفة بقدمه، ووقفت سالي
تمسك بكلتا يديها بحديد السور المقام.

ديسمبر ١٩٨٧

حاولت حبس دموعها فاغرورقت عيناها ورفضت مدّ يدها
لتسحب منديلاً ورقياً من علبة كرتونية وردية اللون قُدّمت لها
على استعجال.

لم تكن سلمى تدرك كل مواطن القوة التي لديها غير أنها
كانت تعرف أنها تحمل الكثير من مواطن الضعف فعزّت عليها
نفسها وكادت أن تنهار.

قامت واقفة وعدّلت شعرها المصفوف على شكل غُرّة
مقسومة نصفين من الأمام .. ومن الخلف. كان الشعر معقوصاً
ومشبوكاً بتوكّة رقيقة عليها فصوص صغيرة تلمع وسط شعرها
الكستنائي كالنجوم البعيدة في الليالي الصحراوية الخاوية الممتدة،
لا يفسد رونقها الإلهي إلا صوت السيارات الضخمة ذات الأنوار
الكبيرة.

بلعت عيناها دموعها وانسحب الحزن إلى داخلها وقامت
واقفة شامخة تزيع الوشاح برأسها وترمي بعباءتها السوداء على

الكرسي الذهبي المساند والفرش الأصفر الليموني الفاتح.
كان خالد جالساً في مقعده الوثير محاولاً إخفاء ارتبأكه وكان
يترقبها منتظراً اللحظة القادمة وما تحمله من مفاجآت.
جلست إلى جواره في المقعد المجاور له وأسندت ذراعها
على مسنده ونظرت في عينيه وقالت:

▪ أعرف أنك تخونني ..

ابتسم خالد ابتسامة مكرة يخفي بها بعض الحرج ويبدو في
استلقائه إلى الخلف غير مهتم على الإطلاق، استطردت سلمى
وقالت:

▪ وأعرف أنك تخونني بالتحديد مع الأجنيبات البيض
الشقرّاءات..

فتح خالد فمه هذه المرة متعجباً، يهز رأسه قائلاً:

□ الله يهديك، لماذا سوء الظن..

كانت عيناها متوجهة إلى عينيه اللتين كانتا تهربان منها غير
أنها استطاعت لمح الارتباك الخفيف ورعشة الساق المرفوعة
على الساق تحت الثوب الأبيض الناصع.

* * *

مضت سلمى إلى غرفة نومها تتأمل جسدها وتذكر الغزل
الذي قيل فيها وعن المراهق الذي كتب فيها الشعر وخط اسمها
على كل دفاتره المدرسية، عن الخائف عليها من الخروج بمفردها

خشية الفتنة والضجة اللتين يحدثهما جمالها، ابتسمت في المرأة لكل الأشياء الحلوة، فكت شعرها من الخلف واستلقت بظهرها تلامس الأرض بقدميها، كان صوت تنفسها يختلط بصوت المكيف، كادت دموعها أن تنحدر فرفضت أن تمتد يدها إلى منديلها القطني الصغير المطرز من الحواف، فبلعت دموعها وريقها، نهضت من راحتها، طالعت طولها ورسمه حاجبيها ودوران بؤبؤي عينيها واسترسال رموشها الكحيلة.

تمشيت من الغرفة إلى الممر الخافت الضوء، المؤدي إلى الصالة فالتقت خالد وهو يحث الخطى في وجل وحيرة، استوقفها فقالت :

■ ابعد عني..

صاح :

□ أنا زوجك وأبو عيالك.

صرخت:

■ ابعد عني..

تمهل وداعبها ونهاها وصرخ فيها وحقّر من شأنها وسفّه

منها وداس على كرامتها ثم دعاها إلى الفراش فصرخت:

■ ابعد عني..

لم يبعد خالد، كان في صلفه وتكبره وعناده يحاول لم الشذرات الباقية من رجولته في مواجهتها، غير أنها لم تمهله ودفعته جانباً تشق طريقها إلى الصالة، فتحت بابها ومضت. لحقها واطمأن إلى أنها كانت قد ركبت مع صاحبته غير أنه انزعج بشدة لأنها كانت سافرة بدون عباة أو غطاء للرأس.

عادت سلمى في هدأة الليل تدق الأرض في قوة، وترفع رأسها في شموخ، كان خالد جالساً يضحك عالياً وهو يتندر في الهاتف ولما رآها غير من لهجته، طالعها فوجدتها متوردة الخدين تصعد الدماء إلى وجهها وكأنها بذلت مجهوداً ضخماً.

وضع سماعة الهاتف معتذراً ثم قام صائحاً بكل ما أوتي من قوة سائلاً سلمى وهو يشد ساعدها ويلوي ذراعها :

□ وين رحب.. وإيش سويتى..

ضحكت سلمى وسحبت يدها من يده في قوة لم يعهدها فيها واسترخت على المقعد الوثير، كانت عيناها تلمعان، وكان شعرها من الأمام غرة مقسومة نصفين ومن الخلف مفروداً محلولاً منبسطاً على كتفيها، تنهدت في راحة وتنفست في عمق، ابتسمت في هدوء رائع وهي تطالع العلبة الكرتونية الوردية الطالع منها المنديل الورقي، كانت متأكدة تماماً أنه ليس هناك ثمة دموع في العيون تحبس وتبلع، وأن خالد قد صار كقطعة من الأثاث، وأنها بالفعل تمسك بيديها زمام شئ ينفلت.

جلس خالد على الأرض عند قدميها، تأمل عينيها وبكى في
حرقة. استسلم ولاذ بصمت غريب لا يقطعه سوى صوت جهاز
التكييف .

مارس ١٩٩٢

الغري والكلاب

قال وتجاعيد وجهه تزداد تغضناً وعضلاته ترتبك حول زوايا الفم فتخرج منه الكلمات مترددة وكأنها تخرج من جوف قبر:

■ لا.. لن أتعري.. ولن أرمي بثيابي لكلاب العار..
قالت وهي تهدئ من روعه، محاولة طمأنته وكأنها الأم الرءوم ساعة الفجر تهدد طفلها المحموم:

□ ارم بثيابك إليّ وتعرّ، لا تخف فلن يشاهد سوءاتك غيري
ولن يضيرك أن أعرف عيوبك فأنت تحتاج لأن يعرفك كلك
شخص واحد في هذا العالم الواسع المزدهم.. يعرفك جيداً، أن
يكشفك فلا ترتجف فتتظهر وتحقق الخلاص، فلا تستحم في بحر
الأحزان.

كان واقفاً أمامها، بينهما طاولة مدورة عليها مفرش ذو
مربعات هادئة، وكانت تجلس على كرسي من البوص القديم
المعروف باسم البامبو، ترتدي بلوزة بيضاء سكرية ذات خطوط

طويلة سوداء تتسجم تماماً مع جسدها المشقوق، وينظرون من القطيفة السوداء الفاحم. تضع على عينيها نظارات شمسية يبرز من فوقها حاجبيها القوسين الممتدين، قالت:

□ قالت لك أرم بيابك واهداً، ولا تخف مني ولا تفكر لا في العار ولا في كلابه..

عَدَل من قميصه داخل بنطلونه، جلس أمامها يراقب أبراج وفنادق القاهرة الشاهقة، وجلست هي تتأمل صفحة النيل التي تشقها، وتعبرها الباصات النهرية والبواخر السياحية، وتغطيها الشمس الدافئة المنتشرة في كل الأنحاء.

قال وهو يمدّ يده يرتشف الماء الرقراق فتلمع عيناه بفكر عميق وهم أعمق:

■ لست سيئاً تماماً ولا طيباً تماماً، أنا لست عبقرياً في الانسجام مع الأنثى كما تقولين، ولكني واثق من أن بقائي هنا أو هناك متعلق بحركة سريعة خاطفة.

ضحكت وهي تعدل من وضع نظارتها وتمد رجليها بامتداد الكرسي تحت الطاولة المدورة وفوق العشب الجاف المتآكل والذي تظهر تحته عيون الأرض المجذبة تتخللها وتتدفق تحتهما وحولهما محيطية بهما مغلفة منطقة الحب تلك، وكأنها تلك الشعاعات الملونة في أفلام الخيال العلمي .

قالت فجأة :

□ إن ابني يريد أن يصبح طبيباً بيطرياً كي يعالج الحيوانات المسكينة التي لا يهتم بها أحد.

بأدر قائلاً وهو يسمع صفارة باخرة عليها سائحون كثيرون:
■ وقد.. عندما يكبر.؟! يعالج الحيوانات المرفهة عند أثرياء القوم.

همهمت في ود عميق، تهز رأسها في نعومة شاردة قائلة:
□ لا لا.. اسمع، لقد اضطررتني الأيام لأن أشخذ العواطف حتى من هؤلاء الذين يبيعون لي الطعام.. فلما غمرتني بفيض حنانك صرت ملكة !

وضع ساقاً على ساق محملاً فيها قائلاً:
■ آه أيتها المرأة النحلة، لا تملين العمل وتملتين كل الأمكنة التي تحضرين فيها ضجة وحياة.. دون أن تفعلي شيئاً.. فقط بصمتك. بابتسامتك المجاملة الخجولة وبانحناء رأسك الخفيفة، وإطلالة شعرك المحترمة، خطوك الهادئ المركز، وكأنك كلك تحملين داخلك الانفجار، وكأنك الحوت العظيم النادر يحمل العنبر والياقوت والقنابل التي لا تدمر ولا تحرق.

مدّ يده إلى يدها متأملاً عظام أصابعها المنسقة، ضغط عليها ليحس بتكوينها الداخلي المتألق، كان يعرف إن انحناء الشمس كانت تنزل حرة على حواف المباني العتيقة والجديدة دون شك، ودون تردد، وهكذا أيضاً كان النيل في حركته البطيئة وصمته

الهائل.

مَدَّ يده مرة أخرى وأخذ يدها ورفعها إلى فمه، لثمها في خفة وفي حنان، ودعاها كي تقوم، مشياً على العشب الجاف والأرض المطة. مَدَّ ذراعه ليضم كتفها إلى صدره قائلاً :

■ هاهي حياتي وضعتها على كفي، وقدمتها إليك تغزليها وتتسجينها كيف ما شئت، لا أخاف منك ولا أخجل، أنا لا أرتاح إلا على صدرك ولا أشرق إلا من خلالك، لأول مرة أدرك أن إنكار الذات لا يتحقق إلا مرة واحدة بصدق مع امرأة واحدة تمشياً حتى وصلا إلى سور الكورنيش المطل على عوامات النيل القابعة ككلاب الحراسة، يخبط الماء في حوافها فيصدر صوتاً رتيباً غريباً.

جلست على حافة السور ووقف أمامها فقالت:

■ هيا ارم ببثياك إلي ولا تخف.. اسبح في النهر فلن تغرق ليست هناك كلاب وليس هناك عار!

تمشياً بضع خطوات نحوها ثم قال:

■ قرأت في الجريدة خبراً عن امرأة في الغرب طلبت من القاضي أن يحكم لها بالطلاق من زوجها ولم تكن لديها أية حثثيات، فلما سألها القاضي لماذا الآن تريدان الطلاق وبينكما أولاد وتاريخ قالت : إنني أود الطلاق منه لأنني لم أنم، ولم أطور معه لحظة واحدة... .

قامت من على سور الكورنيش وواجهته متسائلة :
وبم حكم القاضي؟!

قال :

■ حكم لها بالطلاق لكنه سألها متعجباً، لكنك تطورت كثيراً
وحققت نجاحات إنسانية وعملية خلال زواجكما.

قالت :

□ أعرف بقية القصة بالفطرة وبالتجربة، لقد تطورت تلك
المرأة على حساب داخلها القوي، ولأن الحرمان نبي الفنان، فلقد
تعلمت من فقر العواطف أن تفيض عطاءً على من حولها دون
ابتذال، وهكذا أنا كالسباحة في اليمّ دون معرفة سابقة بالسباحة،
هي الغريزة وهو الهم وهو القدر وهي الأيام، لقد تعلمت أن
أختتم على كل الأبواب المواجهة للبحر، أن أنزل الستائر، أن
أجلس منتصباً مثل حلم جاف على كرسي من الخشب العتيق وأن
أطلب من نفسي يوماً سريعاً بارداً... .

احتضنها، فارتجفت في حضنه همس في أذنها متسائلاً..

■ هل تقرئين لديلان توماس؟..!

ابتسمت من بين دموعها وقالت :

□ لا أحفظ الأسماء لكنني أقرأ كثيراً...، أتمنى أنمو بين

يديك كالعصفور.

ضغط على خصرها فتأوهت متحيرة وراحت تمسك يده

الصغيرة، تقوده إلى الأمام كان فرحاً بانقياده الطفلي ذلك، وكان يدرك تماماً أن ما سمته حبيبته عبقرية علاقته بالأنثى يكاد ينحصر في إن قلبه وعقله الباطن يحوي صورة تجمع ما بين الفلسفة والفنّازيا، لامرأة سحرية، وأنه في دورته حول الأرض، إنما كان يبحث عن تطابق تلك الصورة، وكأنه الصياد في البحار السبعة، وكأنه السندباد في البلاد القصية، يجد شذرات من صورته تلك فيخالها كالسراب فتوهي وتتبعثر ولا يبقى منها سوى الذكرى الواهية.

■ لكنك

هكذا قال لها بصوت عال وهو يمشي معها في بطء على رصيف الشارع المضاء على استحياء، ثم استطرد :

■ لكنك أنت البدء والأصل، توغل في أعماقي، تشرب مني، لست صورة .. لا من خيال ولا من فكر .. أو ثقافة .. بل إنك قلب الواقع الممتد أمام عيوني، ماضيك، وتاريخك وحاضرك، حسك العربي وثقافتك الأجنبية، حرمانك وتعبك يمتزج بي وبأخلاقي، يتشكل في العمق مني ويضئ بصيرتي، وتبدئين حياة جديدة في حركة يدي وفوضى شعري ... وقلقي.

عبرا الشارع، عبرت السيارات في اتجاهات معاكسة، وعبر الناس الأرصفة والكورنيش وتبادلوا النظرات المتطفلة والمتشوقة، وفجأة توقف ثم قال :

▪ سأنتعري، وسأرمي بثيابي إليك .

ردت بسرعة قائلة :

□ وسأخذها في حضني، تأمل عريك، وسأحبك أكثر،

وستبقى لي طاقة الدنيا المفتوحة في وجه الحرمان والألم.

انتحبت من فرط السعادة، فضغطها في صدره، واعتقد أنه

سمع صوت تكسر أضلعها بين ذراعيه، غير أنها لم تتأوه، وكأنه

يشق أحشاءه، يسكنها أعماقه، ويغطيها بأعصابه، ويستسلم لتلك

المفارقات الرائعة للقدر.

فبراير ١٩٨٧

سيد ونفيسة

(أأأأأأ... يابيت يا نفيسة، لو يخطف منك بوسة في الضلعة. في الزحمة. في الغفلة، في الخفا .. لكن مين؟! ده ابن الكلب الغتت ده، كتب كتابه عليك، عشان بس يمسك إيدك!!).

هكذا همهمت نفيسة لنفسها، متذكرة أيام الخطوبة، تنهدت تنهيدة فيها وجع، تنهيدة طقطع لها قفصها الصدري، نفرت لها عروق رقبتها، وسرت رعشة خفية في أصابعها.

(يا دين النبي، يادين محمد، يارب، يا مثبت العقل والدين، ترحمني من غلاسته وسماجته وهدوءه والألطفه. الواد الأبيضاني ده...).

ضحكت البنات نوال وهي تستمع إلى كلمات زميلتها نفيسة وهما تتذكران الأيام الخوالي على حافة الكورنيش بعد الانتهاء من عملها.

اعتدلت نوال في جلستها، ربعت رجلها تحت فخذها ومدت بوزها إلى الأمام، وصار شكلها كوميدياً جداً، إلى درجة جعلت

نفيسة تنفجر في الضحك الهيستري دون توقف لدرجة أنها (شرقت)، ووقفت لقمة السمييط في زورها. ناولتها قلة بياح الترمس شربت واتكرعت وقالت : الحمد لله، مدّت نوال بوزها مرة ثانية إلى الأمام، ومدّت رقبته الرفيعة كالوزة الجوعانة، تمطت في نطقها وقالت بصوت كاريكاتيرى يشبه صوت (حسن فايق) قبل أن تنالة تلك الزغطة :

- هيه، ما قتلش يا نفيسة. طيب واتجوزتيه ليه ؟!
 - قسمة ونصيب يا بت. ابن عمى، والرجالة اتكلموا مع بعض من ساعة ما كنا ولاد سبع سنين.
 - يعنى ما تفكش كده، بعد الدخلة ؟!
 - يوووو .. دخلة إيه يا أم دخلة ؟ ..
- ده كان بيحارب، بينفذ مهمة. بيثبت حالة بيعمل واجب. لما شاف الدم زغرد وهيص ورقص كأنه فتح عكا، والمسألة مخدتش ثواني وجري، وأنا مرمية على ضهري. كإنى شميت ريحة الأكل بس. كإنى مستتية كماله الفيلم، لكنه راح ورجع واداني ضهره، أما شخيره فكان عالي. عالي قوي وكتاب الله المجيد كان شبه الخنزير...!!

دوّرت نفيسة وجهها ناحية بائع الفل، ودوّرت نوال وجهها ناحية الأزواج والعشاق والعائلات، وهم يدخلون إلى المركب المطعم الراسية على صفحة النيل يلمون ذكرياتهم ويحاولون دفن

مشاكلهم، يتفرسون في رجال ونساء غيرهم، ويتفرسهم
الجرسونات والسياس وسواقين التاكسي والحنطور وأطفال
الشوارع.

قامت نفيسة ونوال لتتمشيا، عدّوا على بائع الذرة، وبائع الفل،
وبائع السميط، وبائعة الشاي. اقتربا أكثر من النيل، كان عكراً في
تلك الناحية فرأيا صورة وجهيهما عكراً، حدقا في النهر، وفي
الصورة، وفي العكارة، وسرحت بهما الدنيا، وسرح بهما الوقت،
ولما زادت لسعة البرودة. التصقا ببعضهما البعض، فتوحدت
الصورة وزادت العكارة.

* * *

جلس سيد وفؤش على كرسيين بلاستيك أبيض، على كوبرى
إمبابة، يأكلان حمص الشام بالشطة الحمرا الحارقة السخنة.
نظر فؤش إلى عيني سيد المحمرتين المحولتين قليلاً، سأله
مهتمّاً وكأنه صحفي يحاور مسئولاً مهماً :

— واد يا سيد، مالك كده، مالك، حالك اتدهول بعد ما
اتجوزت نفيسة !؟

بان وجه سيد محمراً. كان احمراراً مخيفاً لانعكاس احمرار
عينييه عليه، معاكساً النمش المبعثر على جبهته وخديه. تملل في
كرسيه، ثم أجاب وكأنه المسئول المهم المزنونق في الكرسي وفي
الإجابة:

— ماهو .. ماهو، مفيش عاطفة، مفيش رومانس يا فؤش.
الواحد بيتفرج على أفلام عربى وأجنبي، خصوصاً على الدش
دهو، بيلاحظ إن السراجل والست بياكلوا بعض أكل،، كإنهم
مخلوقين لبعض، راكبين على مقاس بعض مولفين قوى في كل
حاجة زي ما يكونوا عجينة واحدة .

أنا بقى مع نفيسة كإنى باضرب عشرة مع جثة، مع حنة
لحمة بتتنفس.

مَدَ فؤش بوزه إلى الأمام، عَوَجَ رقبته ورأسه وكتفه، سأل
سيد في اهتمام :

— طيب واتجوزتها ليه ؟! لمأ مفيش عاطفة ولا انسجام ؟!
قام سيد واقفاً غاضباً، شفط كل الكوب الساخن مرة واحدة،
كأنه يتجرع خمراً حتى الثمالة، ازداد وجهه احمراراً وزادت
عينيه احترقاً، وظهر النمش الأسمر على مساحة وجهه البيضاء
التي بدت كالكبد، خرجت الكلمات من فمه ترغي وتربد :

— يـووه ... اتجوزتها ليه ! اتجوزتها ليه ؟ حدوته هى والـ
فيلم، احنا ولاد عم، ولاد زفت، ولاد كلب، ولاد حرام، زى ما
انت عايز، قالولى البت متعلمة. لقيتها متعلمة بس مش
فاهمة؟!.....

ضحك فؤش وقام واقفاً موازياً لسيد، عدل الطاقيّة الطرطور
على رأسه، لتدفي أذنيه أكثر :

■ حلوة دى، متعلمة بس مش فاهمة ؟ كتار دول بعيد عنك
دلوقتى، ماليين البلد... قصدك يا حمار متعلمة بس مش متودكة
ومش مخربشة يعنى .

جلس سيد على الكرسي الأبيض البلاستيك، طلب طلباً آخر
من حمص الشام المغلي. رمى المعلقة إلى جانبه، رشف رشفة
لسعت لسانه، حمّرت عينيه ووجهه أكثر ؟ فبان العرق على
جبهته. جلس فؤش يسند ظهره على ظهر الكرسي البلاستيك
متأملاً الرائحين والغادين.

قال سيد في تمهل :

— أبويا هوّ اللي رتب العملية عشان مال أخوه ما يروحش
برّه، أمى واخواتى بيعقدوني منها وبيقولولى مناخيرها لفوق،
رجليها لفوق. وصدرها لفوق كل حاجة لفوق، حتى تفكيرها !!
حكّ فؤش فروة رأسه من تحت الطااية الصوف الطرطور
سائلاً سيد:

— هى نفيسة حلوة ؟!

ردّ سيد بسرعة :

■ مش قوي.

تتهّد سيد تنهيدة طويلة وقال من جوفه:

— نفسي حدّ يحببنى وأحبه، ألاقى نفسي فيه، إنما انت يا ابن
العايقة عمال تسأل من الصبح وأنا بجابوب، زي المسئول المزنوق

الأهطل. أنا بقى هسأل يا روح أمك !... شكلك مخضوض ليه ؟
وبتتخفى ورا قناع الضحك والسخرية ليه ؟! خايف من إيه ياوله !
ارتبك فؤش، ارتعش داخله ؟ فلملم نفسه من الخارج، ضمّ
ذراعيه حول وسطه، وحول صدره، أخذ نفساً طويلاً ثم اشرب
بعنقه، رفع رأسه بالطاقيّة الطرطور وقال في تودة:

■ أنا .. أنا ... باحاول أوصل للعمق، في كل مرّة بأقابل
فيها نوال بتتثال مني حاجات من جوه، مرة جليخ، مرة وسخ،
مرة ندالة، مرة خوف، مرة ضعف، أيام أفكر مرّة أبويا،
المدرسة، الجيش، قلبي مقبوض، الفرحة بقت لحظة وبتخلص
بسرعة، ومضّة وبستروح، زى السبرق يضوى ويختفي على
طول... أنا مبهورق وملخبط يا سيد، فيه إيه بالضبط ؟! إيه اللعنة
دي ؟! إيه البهوقة دي ؟!...

صرخ عالياً، صرخة رجت مياه النيل تحت كوبرى إمبابة،
هزّت الكراسي البلاستيك البيضاء وعربة حمص الشام، والناس،
اللباعة العشاق. انخرط في نوبة بكاء شديدة لم تنفع معها ربتات
سيد على ظهره ..

انحنى سيد وقد هزّه الموقف هزاً عنيفاً وضع رأسه بين
رجليه وقال :

■ قبل ما اتجوز نفيسة، وقبل ما اسمع كلامك دلوقتي، كنت
متصالح مع نفسي رغم إني عارف بالضعف اللي جوايا، انت

صدمتني يا فؤش، من برّه تبان حديد و صلب و حجر صوّان، كل ده طلع فالصو، بس انت مش فالصو يا فؤش، انت بس واد حساس !

وضع سيد وفؤش كوبا الحمص نصف ملأى على حافة العربة المزدانة باللمبات والألوان، كان البوح قد فسخ فؤش، فانتفض كالطير الزاعق من قلب الرماد، وعلى الرغم من اكتشافه هشاشة نفسه، لذلك قرر الصمت أما سيد فلقد استمر في التثرثرة حتى تعب وشارك فؤش في الصمت المريب .

ما أن دخل سيد البيت حتى وجد نفيسة واقفة وسط الصالة، ربّعت يديها وعقدت ذراعيها في وقفة تحدي شامخة تحت لمبة الصالة، عمودية بظلها على البلاط الممسوح بغل المرأة المقهورة المحبطة المنهكة الجوعانة.

قالت في هدوء مرتب الكلمات:

■ طلقني يا سيد، طلقني بالتلاتة يا سيد .. ما تخافش

هابريك ...

لم يفعل سيد، لكنه كتم غضبه وعقدت الدهشة لسانه، قال في صوت مهزوم :

■ طيب ... والعيال !؟

ردّت نفيسة في صوت محسوب وكلمات مضغوطة:

— ليهم رب، ليهم رب يا سيد، وأحسن لهم يتربوا بعيد عنا
واحنا مع بعض، انت ما بتراعيش ربنا في يا سيد .. انت غبي .
بلع سيد ريقه، مشى إلى غرفة لنوم متناقل الخطى، التفت إلى
الخلف وسأل نفيسة :

▪ انتي ما بتحبينش يا نفيسة .. مش كده ؟!
▪ لأ ... انت أبو عيالي، وشريك في شقتي خلاص يا سيد،
مش هاقدر أخليك تقرب مني، لازم نتطلق علشان ما اغضبش
ربنا ...

— سيد انا باقرف منك! ... ابعد عنى ... طلقني ...
تمهل سيد، وقف عند باب غرفة النوم ثم قال : يعني، يعني،
بتحبى حدّ تاني يا نفيسة! هتجوزى بعديا يابت ؟!
▪ لأ يا سيد، هافضل عزبة، مش عايزة بطيخة وتطلع
قرعة، هموت أحاسيسي ورغبتى، هاعيش زى الراهبات والأرامل
والشواذ، خلاص تعبت يا سيد، ارحم بقى، ارحم وخلي رحمة
ربنا تنزل.

دخل سيد إلى غرفته، جمع حاجياته، توجه الى بيت فؤش،
دخل منكس الرأس. كان فؤش يحدث نوال في المحمول ويضحك
عالياً، يكرع ثم أنهى المكالمة.
نام سيد بجوار فؤش، شخر شخيراً عالياً.

خرجت نوال مع نفيسة مبتهجة وردية اللون وكان حجراً قد
انزاح من على صدرها. تنفست الصعداء، همست في أذن نوال :
▪ تصدقي يا بت، لما الواحد يحلم براجل ويعاشره في منامه
أريح وأنصف ! طرقت نوال اللبانة وقالت :
▪ قُطِّعُوا رجالة الزمن ده، رجالة مع نسوان غير نسوانهم،
ونسوان مع نسوان، ورجاله مع رجاله، ونسوان مع رجاله غير
رجالتهم، كأنهم كلهم معمول لهم عمل، يا ستار يا كريم استر
يارب على ولادنا.

٢٠٠٦/١/٢٩

منمنمات نسجية

الوطن

سألت أحمد متلهفأ:

■ إيه هو الوطن؟!

تململ في مقعده، تنحنح، ثم أجاب وهو ينظر إلى كوب
الينسون المتناقص قائلاً:

□ هو اللؤلؤة المحفوظة في قلبك فين ما رحى، تنبض فيك،
تتوهج وتتألألاً وتبدو نضراً على الدوام.

شدّ الجالس إلى جوارى نفساً من النارجيلة، تحرك بكرسيه
حتى صار لصيقاً بي. نفث الدخان في الهواء في زفرة قوية، ثم
قال:

■ يا راجل، هو فيه في الزمن ده لآلى، الوطن هو الزحام
والتراب والتعقيدات الإدارية.

ابتسم أحمد، رشف رشفة من كوب الينسون الذي كان قد
تناقص إلى الربع وقال:

□ ماهو ده برضه جوة اللؤلؤة..

قام الجالس خلف أحمد، تاركاً زميله في لعب الدومينو، حاملاً
كرسيه، جالساً بجوار أحمد، سائلاً إياه:

■ هو البيه بيلعب الدومينو عادة ولا أمريكياني؟!

شرب أحمد ما تبقى من الينسون، نظر إلى الرجل نظرة
قوية، ثم قال:

□ أمريكياني..

وضع الجرسون كوب الكركديه الأحمر القاني أمامي،
وكوبين من الماء، سأل لاعب الدومينو إن كان يشرب شيئاً، فقال:

□ سغن أب..

قام أحمد وأحضر الدومينو، فرشها على المنضدة الرخامية
البيضاء، عدل من جلسته بحيث صار قبالة اللاعب، وصار
اللاعب قبالته، فانتحيت أنا والجالس إلى جوارِي جانباً.

جاء الجرسون مرة أخرى، سألني وهو نصف واقف، نصف
مائل:

■ هو البيه بيشتغل في لندن؟

أيوه.

تعرف مصطفى بن الحاج عطية؟

أيوه.

■ أخباره إيه؟

اشتغل عند تاجر مصري كبير، ظبطه وهو بيجامل الزباين

المصريين بعد مقاضاتهم أجور شرايط الفيديو، طرده، وجاب
عامل إسرائيلي بداله؟!

صاح الذي في جوارى مسمئزاً:

■ يا ساتر يا رب.. إسرائيلي!!

قال رجل نحيف ضئيل، فاتحاً فمه عن أسنان صفراء بعضها
ذهبي:

□ ماله الإسرائيلي، ما هُمة ولاد عمنا برضه، ثم بيتكلم
عربي وعبري وانجليزي، وتلاقيه أكثر أمانة وانضباط من
مصطفى!! الله هو الحق يزعل؟

مضى الجرسون يرقص بالصينية، يغني وينادي على
الطلبات بصوت عال.

بدا أحمد منشغلاً باللعب، منهمكاً، متعباً. أزاح قطع الدومينو
قائلاً في انهزام:

□ أنا مش مرتاح للأمريكاني!!

قلت:

■ هون عليك، أنا لازم أمشي...

قام واقفاً، فقام واقفاً، وكذلك قام كل الجالسين إلى جوارنا،
احتضنني بشدة، قبلني في وجنتي، قبلته في وجنتيه، شممت فيه
رائحة الينسون مختلطة بدخان السجائر، ضحك وهو يشد على
يدي متسائلاً:

□ إيه هو الوطن؟!

ضحكت عالياً، تأملت وجوه الواقفين إلى جوارِي، وإلى جوار أحمد، ووجوه الجالسين حولنا وخلفنا، ووجوه الرائحين والغادين، والجالسين على الأرض، ثم قلت:

■ أسأل عبده الجرسون...

اندفع عبده يجري مسرعاً يرقص بصينيته، وقف أمامنا كالتمليذ، سأله أحمد:

□ البيه بيسأل إيه هو الوطن؟!

حكّ عبده فروة رأسه، حرّك القلم خلف أذنه، تأمل كل الوجوه، دندن بأغنية ترحب بعودة أرض سيناء، ثم قال:

■ هو حَبّة حلبة مُرّة، لكنها آخر حلاوة، حلاوة عليك يا بيه!!

مضى يرقص بصينيته على أنغام الأغنية مختفياً في زحمة المكان والدخان، وأصوات الناس الكثيرة جداً، الجالسة والواقفة، المنتظرة والمسترخية، على حدٍ سواء.

مايو ١٩٨٥

حوار مع البحر

تنهد تنهيدة طويلة، تأكل البحر الواسع، ملأ صدره بنسيمه
البارد المالح ثم قال:

▪ تعرف أنا محتاج لإيه؟

▪ لإيه؟!

▪ بحب جديد!

ياه..... دانت يا راجل عجزت، ثم أنت نسيت إنك متجوز!!

ابتسم نصف ابتسامة ثم قال:

▪ عجزت إيه أنا لسه ٣٩ سنة، يعني طفولة ما بعد النضج،

أما مسألة الجواز دي فأنا لا أملك لها رد.....

خرجت نهلة من البحر، تتلألأ قطراته فوق جسدها

البرونزي، تهتر فتهتز القطرات اللؤلؤية، تنسحب على شفتيها

بسمه ملأى بالشهوة، تغوص قدمها في الرمل الساخن، اقتربت،

ثم اقتربت حتى سدّت عنا عين الشمس، وصدر البحر، وجموع

الناس. ضحكت في دلال وهي تجلس على كرسيها القماش،

سألت:

■ إنما كنتم بتتكلّموا ف إيه؟..

قلت مجيباً:

□ أبدأ ... عبد الفتاح كان يقول إنه محتاج لحب جديد!

هَزَتْ شعرها الليلي الفاحم المتهيج الأنيث فانتثر منه على وجهينا، يبللهما ببردهما، تاركاً رذاذاً مالحاً فوق شفاهنا، قالت:

■ ما هو سوسن مراته من غير ما تقوللي حاجة فهمنتي كل حاجة.

انتفض عبد الحميد، مال إلى الأمام قليلاً سائلاً نهلة:

□ إزاي يعني؟!

■ يعني عينيها كان فيهم حزن وأسى... كأنها تنعي

شيء عزيز، تشوّهت صورته قدامها!

ابتسم عبد الحميد وعاد يسند ظهره على الكرسي القماشى معاوداً النظر إلى البحر.

قامت نهلة من كرسيها، جَرَتْ أماناً فبان فخذاها مرسومان بدقة مكتنزة تتبلور عند مفصلي الركبتين من الخلف، تتسحبان في ساقين جميلتين كلوحات مايكل أنجلو.

جرت وجرت حتى أخذها البحر، ولم تعد في مرمى بصرنا.

سألني عبد الفتاح في اهتمام:

■ إنما متعرفشي ليه ماجد وأحلام انفصلوا؟

اعتقد لأن أحلام كانت متصورة أن ماجد البطل الخارق
الجديد، السوبرمان العصري، الفاهم في الأدب والسياسة والطب
والهندسة، خال من العيوب، أوربي التقاليد، شرقي التعايير ويلعب
بالبليضة والحجر.

هزَّ عبد الفتاح رأسه في حيرة ثم أعقب:
غريبة... أنا سمعت غير كده، سمعت أنه إنسان متسلط
وقاسي جداً...

يعني إيه؟.. كان بيضربها؟!
لأ... القسوة في الكلام، في الصفات، في ردود الأفعال، كل
ده يوجع أكثر من الضرب...
□ يمكن

■ عارف مين كلمني امبارح؟!
□ مين؟!
■ سميرة مرات محسن!
□ ياه.... هي لسه فاكراك؟!
■ آخ، قال إيه، بتسألني إذا كنت لسه عازب ولا لأ عشان
عندها عروسة.؟!
□ طبعاً تلافيك قلتها زي ما بتقول دايماً إنك عجوز الفن!

■ آه فكان ردها أن أنا أناني وهستيري ومحتاج حد
ياخد باله مني!

□ دادة يعني!

هبت ريح خفيفة عفرت وجهينا بالرمل، رفع عبد الحميد نظارته الشمسية، مسح عينيه بيده اليمنى. أعاد النظارة على عينيه مرة أخرى، ثم سألني:

إنما أنت قتلش؟ أنت تعرف نهلة منين؟!

نهلة...؟!

■ آه.....

□ نهلة دي زي بنتي، بنت جيراننا، الفرق بيني وبينها ٢٣

سنة!

■ وناوي تتجوزها؟

□ ده كلام برضه يا عبد الحميد؟! رجالة كثير عندهم رغبة

عشق بنات المدارس المراهقات، ما سمعتش عن فوزي بيك اللي كانوا بيحبولوا بنات صغيرات بالزي المدرسي يقعدهم على حجره ويأكلهم شكولاته!

■ سمعت... بس نهلة مش بنت مدارس، وينتهيأ إنك مش

زي فوزي بيك!

□ لا.... نهلة بنت مدارس، بس فائرة شوية وأنا زي فوزي

بيك بس متقف يعني!

ضحك عبد الحميد عالياً ثم قال:

قلت: يعني.....

تنهد عبد الفتاح تنهيدة طويلة، تأمل البحر الواسع، ملأ صدره
بالنسيم والهواء الزفر، ثم راح في سبات عميق حتى سقطت رأسه
على صدره وبدأت منكسة كأعلام الدول المهزومة.

مايو ١٩٨٤

علي ووزة

كانت تدعى وزه لكن اسمها الأصلي كان سعاد. ممثلة مدمكة بيضاء ذات شعر أسود فاحم كالعاج، تغطيه بمنديل ملون يتدلى منه الترتير، تسكن الدور الثالث من ذلك البيت القديم في تلك الحارة الضيقة. كان علي يسكن الدور الثاني ويعشق سعاد أو وزه بكل حواسه. كان نحيفاً شديداً السمرة، شديد الانفعال، يرتعش بالعاطفة أينما راح وأينما حل، حتى مع الجماد ومع الدراجات التي كان يصلحها. كانت سعاد تتفنن في إغراء علي وغير علي من كل شباب الحارة ورجالها، تتفنن تلميع شعرها خارج إطار المنديل ذي الترتير، مرة بالزيت وأحياناً بالجاز، فتجعله يلمع لمعاناً متوهجاً يفوق لمعان الترتير، لمعان أسود راق يتناقض في جمال مع بياض بشرتها الناصع وينفق معه في نعومته الخالصة. كان علي يحب وزه ويموت فيها، بعد انتهاء العمل، وفي أيام الأحد كان يداوم على التطلع من شباكهِ إلى وزه وهي تنتشي، تهز الترتير وشعرها، تنثره على كتفيها العريضين، وترمي

خصلاته وذؤاباته على صدرها الكاعب، تلمح التعابير المشتاقة المحترقة في عيني علي، لكنها لم تقل له شيئاً، أي شيء داعبته بحركات جسدها، وإغراءات الفطرة المتمكنة منها، وتركته معوج الرقبة، مسطح الرأس، مثني الجذع، لا يملك من دنياه سوى التطلع إلى فوق، سوى العشم في أن ترضى سعاد، وأن تذهب أمه لتخطبها له، لكنه كان يعرف تماماً أن الأمنية مخنوقة، وأن البنات وزرة عينها على المعلم الجالس في صدر الحارة يدخن النارجيلة. لم تملك سعاد أو وزرة إلا أن تشاغل علي، ولم يملك علي سوى أن يستطلع إلى فوق وأن يتمنى. كان يحلم بذوبان بشرته السمراء جدا في بشرة وزرة البيضاء الشاهقة، كان يحلم بأن يتزوجها على سنة الله ورسوله، وبأن يخلع المنديل من على شعرها الأنيث، وأن يرميه على الأرض ليحدث صخباً وضجة. حلم علي كثيراً، لكنه لم يتمكن من تحقيق حلمه، ولم يتمكن أيضاً من الإمساك بشعر سعاد، أو بمنديل رأسها المزركش، ولم يملك التوقف عن التطلع إلى أعلى حتى بعد أن رحلت وزرة عن الحارة، ذهبت إلى غير رجعة لتسكن بيت العز، حتى بعد أن صارت أمّاً وفقدت الكثير من جاذبيتها وإغراءاتها المعهودة. فجأة، وجد علي نفسه أمام المرأة مبهوراً بما رأى، تأمل رقبتَه وكتفيه فوجدهما يثنيان مثل الأوزة، ووجد نفسه غير قادر على التوقف عن تلك الحركات التي طالما عشقها فعشقه وتمكنت منه.

خرج علي من عيادة الطبيب مثنى الرأس، معوج الرقبة،
والرعدة توتر عضلات كتفيه. جلس على كرسي المعلم الشاغر
في صدر الحارة، ورمى ببصره إلى حيث كانت وزه تقف. كانت
النظرة مستقيمة، مرتاحة، لم تلتو فيها رقبتة، ولم ينش جذعه، ولم
يلتف رأسه.

استغرق علي يحدث نفسه التي طالما حسدها لأنه كان قاب
قوسين أو أدنى من سعاد، نعم، تحتها مباشرة، وعلى الرغم من
ذلك فلقد اضطربت رؤيته لها، شم رائحتها، وأحس بدفء جسدها
عن بعد، وكاد يسمع صوت نفسها، لكن موقع المعلم كان يسمح
أكثر، بنظرة أشمل، وبتمعق أكبر، يلم تحت جناحيه البيت
والحارة، المكان والزمان. بلع علي ريقه، شد نفساً عميقاً من
النارجيلة، طرد الدخان من أنفه وفمه في عصبية كتم دموعه، دسَّ
قدميه في حذائه أكثر، لمَّ جسده في ملابسه أكثر، توجه إلى أمه
والتصق بها أكثر، انحنى عليها وهمس في أذنها بما رغب،
ومضى. تزوج علي من بنت بيضاء مدملجة ذات شعر أسود فاحم
لامع يزينه منديل رأس بترتر ملون، لكنها لم تعرف كيف تهز
كتفيتها، ولم تتدلل وتتأمل وتتحرك مثل وزه. دفن علي بشرته
السمراء الحادة في لحم زوجته البيضاء البض الناعم كشعرها
وصوتها، وخلف منها ولداً وبنتاً، ولكنه شوهده وهو يخرج من
الحارة مثنى الجذع، معوج الرقبة، مرتعش الكتفين، حلم وعند

عودته بأن يجلس على كرسي المعلم الشاغر، ملأ عينيه بمرأى
المكان وبما حوت ذكرياته وبما ضمه قلبه من مشاعر. شد نفساً
عميقاً من النارجيلة فتوهج الفحم بالنار، اشتعل غضبا بالدخان
الكثيف الذي تمكن من أن يحجب الرؤية عن، لمكان والزمان
للحظات.

يوليو ١٩٨٨

ذات الشعر العاجي

ازدهر شعرها الأسود العاجي، وازدان بألف لون ولون
امتشقت الأثير بقامتها الممتدة الرائعة مُفجرةً الجو حولها بكل
العطور التي لم يبتدعها العطارون بعد.
تمجدت كالأسطورة وكأنها بنت الجيران الشقية، صفرت
للولد الذي دعاها إلي السينما فمرّ وعدى الشارع بين السيارات
المختلطة والمختلفة.

كان قد دار حولها ولف سبع لفات من مكان مفرداً قائلاً:
■ لست أنا التعلب الذي فات وفي ديله سبع لفات لكن ممكن
تيجي معايا السيماء؟

ضحكت حتى اهتز شعرها العاجي ألف هزة وقالت:

□ إيه يا رجل أنت ...؟

انحنى ووجهه يحمر خجلاً هامساً:

■ تيجي معايا السيماء يا بت.!!!

هزت رأسها علامة الإيجاب وقالت:

- أيوه بس فيلم إيه ؟
- فيلم حلو قوي لنيكول كيدمان.
- يا سلام بس أنت قلت لي أنك مش بتحب البيض!!
- تدورت عيناها أكثر....
- وتناسق حاجبيها أكثر....

سأقت السيارة باندفاع محسوب وهو جنبها، كطفلها تمرق
وتعبر وتكسر وتضحك وتغرّد وتصرخ. تبتهج وتغني مع صوت
الكاسيت الممتزج بصوت موتور العربية وبرودة التكييف.
كانت لها حلاوة تصطاد الروح، تمسكها، تقبض عليها، لا
تدعها إلا وتترك وراءها نطفة من اليأس غير المكتمل.
تمهلاً عند باب السينما ولم يجدوا نيكول كيدمان، ضحكت في
شقاوة:

□ فين بقي يا سيدي الفيلم بتاعك قال كالصبي الذي يريد أن
يزوغ من الرد:

■ خلاص بقي يا ستي نشوف فيلم تاني.
استسلمت لفكرة أن تجاوره علي كرسي السينما. وما أن
ابتلعتها زحمة الناس والظلمة. وانتثرت أضواء الفيلم علي رءوس
المشاهدين، حتى اكتشفا أن الفيلم مملأ، كان عن امرأة فاقدة
الذاكرة تتسي حبيبها في كل مرة تلقاه وتبحث عن حبيب آخر
حتى تنساه، وهكذا ...

حرّكت قدميها في ملل، وبعض العصبية: بعضها من رتبة
الفيلم والبعض الآخر من توتر اللقاء الأول.

ولما خرجا قادت سيارتها إلي مكانه.

تمني منها قبلة فترددت، ثم طبعتها علي وجنتيه؛ مضي وهو
شبه حالم يتمني اقتناص اللحظة وتضخيمها حتى تصبح كرنفالا
واحتفالاً ومولد وفرح وسبوع وكل شيء لكن لم يمهلهما الوقت
ولم تسمح اللحظة إلا بما سمحت به.

في الوقت الثاني ذهب إلي السينما محدّدين الوقت والفيلم الذي
كان عن الحب والحرب والرغبة والشهادة والغدر، ضمّ يدها قويا
إلي يده؛ فاهتز جسده من الداخل وتمكنت منه سعادة جمّة، واحتواه
حبورٌ عظيم ... ولما انتظم العُقد بحبات الفلّ بينهما، قبلته على
شفتيه فالتهمها داخل فمه.

تأرجحت أيامهما بين الشك واليقين، بين والحب والرعب؛
فلما إنتمت إلى النوم داخل جوارحه قالت:

□ لم أحس قط بشيء مثل هذا. مزيج غريب عجيب من كل
الأزهار ولحاء الشجر وعصير كل فواكه الدنيا....

أشعل الشمعة القلب الكريستال، لكن لم تظهر الرسالة.
قالت:

□ استنّى شوية.

كان الحرس بالبدلات الرسمية، يقفون في الخلفية، لا يراقبون

الْقُبْلَة، فِي مَشْيَتَهُمَا سَوِيًّا جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ، وَكَأَنَّهُمَا رَاقِصَانِ
تَعْبِيرِيَانِ، لِكُلِّ خُطْوَةٍ مَعْنَى، وَلِكُلِّ هَمْسَةٍ لَمْسَةٍ، وَلِكُلِّ إِيْمَاءَةٍ
إِيْحَاءٍ، وَلِكُلِّ ضَغْطَةٍ يَدٍ عَلَيِ الْخَصْرِ ثَوْرَةٌ وَانْفِجَارٌ.
ازدهر شعرها الأسود العاجي.
فانبثق من داخله القمر جلياً ناصعاً، وسط سواده يشرق
للناس. كل الناس

فبراير ٢٠٠٥

"جشطات"

لم تكن في عينيها نظرة عشق أو إعجاب أو حتى تعبير عن الحب، كانت نظرة شاملة تحوي كل شيء، حتى توتر الانفصال الوقتي المرتقب مع نهاية الأمسية. كانت نظرة تختصر كل وجدان العالم. نظرة! احتوته ولمسته، بعثرته، رفعته إلى عنان السماء ثم حلقت به وسط السحب وفرجته علي المدن والقرى، لفّت به الأنحاء والأجواء، أشعلت الأضواء، وأطربت الساحات. همست في شوق عظيم يأكل المكان والزمان:

■ عازبة أرقص معاك.

ضحك قليلاً في ابتسامة خجلى ورد:

□ بس أنا ما بعرفش أرقص.

طمأنته كالأم الرعوم وقالت:

■ بس المسألة سهلة قوي.

ردّ تلقائياً:

□ بس مفيش حدّ بيرقص.

ضحكت ناظرة حولها ثم قالت:

▪ فعلاً ممكن كده نبقي إحنا فرجة المكان.

كان الفريق العازف (الباند) أسمر اللون، وكأنهم أفارقة أمريكيان يعزفون الجاز، وعلي الرغم من أن ملامحهم كانت شرق أوسطية، بحسب تعبير ساسة هذا الزمان، إلا أنهم كانوا أقرب إلي ذلك الجو الزنجي الذي تمتشقه امرأة ورجل بميكروفون، صوت وأغان غربية كلاسيكية تضيء علي المكان جواً مختلفاً تنسى فيه تماماً أنك وسط القاهرة.

انحني الجرسون في أدب، زاد من تأدبه الأصلي؛ فبان وكأنه ينحني لجمال تلك المرأة الخاصة جداً في تناعمها الشديد مع رجلها الخاص كذلك، انحني ثم سأل، مضي.

أمسك هو بيدها، وأحسن كما لو كان لم يمسها قبل، كانت يبدأ مليئة تكتنز المشاعر وتولدها في نهايات الأعصاب، في أطراف الأنامل وعلي سطح الجلد. أما ضغطتها فكانت ثورة مشاعر واضطرام النار في قش بدا مغزولاً من وجودهما المضطرب.

اقتربت منه فزلزلت كيانه وطلبت منه أن تري صورته وهو بعد صغير، وكأنها تسترجع الزمن، وكأنها بشطارتها تود أن تكون أمه وزوجته وعشيقته وحبيبته، دنياه وآخرته، لحظته ومستقبله.

وكانها تعود إلي وراء لتحتويه في صدرها ولتعلمه الطيران والتعزيد، ولما قبلته في فمه كانت القبلة غير محسوبة، لا يمكن تفاديها، وعلي الرغم من أنها كانت خاطفة إلا أنها خפת معها الوجود. وشردت مع الأفاق فبدا فستانها الأسود الكاشف عن بياض جسدها الرائق لوحة ولدت في لحظة خلق وومضة إبداع. انسأب شعرها علي كتفيها، كان يخفي ضيقه من قصها له، لكنه جاهد محاولاً استيعابها ككل داخل صدره وكيانه، لم يستكثرها علي نفسه لكنه حسد نفسه جداً واعترف بأنه محظوظ للغاية، وأن أمه بالفعل قد دعت له بالخير كثيراً. لما سألت عن كلمة (الجشطات) التي جاءت في حديثه المسترسل عن أدواته وخبراته، قال أنها كلمة ألمانية تعني أن الكل يعني الكل، ولا تعني أن الكل مجموع الأشياء، انحنت برأسها قليلاً وبؤبؤي عينها يتحركان بسرعة خاطفة وكأنها تود خطف المعرفة واللحظة ورجلها المنساب حديثاً لامرأته دون توقف.

□ يعني ياستي إنت مثلاً، ممكن تكوني مزج عينيك الحلوة، وشعرك الأثيث، وجسمك الطو، وذكاك المتقد، وغضبك غير المحسوب، وأناقتك غير العادية، صوتك المعبر المرتاح ومشاعرك الفياضة، لكن لو فصلناك وأخذنا كل من تلك الأشياء واحدة واحدة، وركبناها علي امرأة أخرى لما صارت أنت، حتى لو كانت برسمك واسمك. لأنك أنت علي بعضك كده هو أنت،

مش حَدَّ تَاني خالص، (كلك علي بعضك حلو).

انبهرت بالحديث وتأملته ثم قالت:

■ إنتَ راجل تجنن.

ضَمَّ يده إلي يدها ثم أراح يده على ركبته التي كانت منسجمة جداً معها ومتميزة بالفعل.

ولما نهضا وركبا السيارة. انتقلا من الكوكب الذي كانا فيه إلى القاهرة مرة أخرى. مضت عنه ومضي عنها وكأنها سنة الوجود، أن تلك اللُحمة تنشق وتلتحم ثم تنفصل وتلتحم دون أدنى تأثر بعوامل الطبيعة حولها. استمر طعم القبله، أواخر الأغنية. رنين آخر وتر يعزف. فتحة الفستان. شكل الركبة، تدويره الكتف، ضغطة اليدين، طعم الشفاه...

لَمَّت كل ذلك نظرة العينين التي كانت السر العميق والباتع وراء دملجة اللحمه ، ربط الوجود والتحام الأفكار، يعاكسهما فيعاكسها، كانا على درجة عالية من الكفاءة، والقدرة والتمكن للتغلب على كل ما يمكن أن يعكر صفو مساحة النظرة، وصفاء العينين؛ فإذا ضغطت الأصابع على بعضها، انفجر في الصدر مليون إحساس، وملأت المكان كل مشاعر البهجة والحبور والتفرد والتحقيق دون أدنى شك.

أبريل ٢٠٠٥

الرجل والصبي والنخلة

١

أسند الرجل القصير المكتنز ظهره على النخلة الطويلة،
الطويلة جداً، وضع ساقاً على ساق متأملاً الشمس في كبد السماء،
ومعدلاً من وضع الجلباب الداكن محملاً في وجه العجوز الواقفة
أمامه متوسلة محمقة في تكاسله المغيظ قائلة:

■ قم يا عبد التواب، اطلع النخلة وهات لنا بلحات!

هزَّ الرجل رأسه تأمل الشمس ولم يرد.

كررت العجوز سؤالها فهز الرجل رأسه ولم يرد.

جرى صبي نحيف طويل وكأنه عود القصب، جرى من
ناحية الحقل إلى النخلة فغفر التراب، فدمعت عينا عبد التواب لكنه
لم يحرك ساكناً.

قال الصبي وهو يلهث محاولاً النقاط أنفاسه ومحاولاً التفرس
في وجه الرجل القصير المكتنز اللامبالي:

■ قم يا عبد التواب اطلع النخلة وهات لنا بلحات.

هزَّ الرجل رأسه، تأمل الشمس في كبد السماء، خرج عن

صمته مزيحاً الذباب عن وجهه قائلاً:

□ ولم لا تطلع أنت وأنت صبي ونحيف وقوي؟! □

انتشى الصبي وانتفض واعلى النخلة في دقائق يتسلق جذعها
المحبوب محتضناً عودها الصلب يتوحد بقدميه من نتوءاتها
ويتعشق معها بيديه القويتين حتى وصل إلى البلح فتوقف.

توقف صوت تنفسه اللاهث.

ومالت الشمس إلى الأفق تستعد للمغيب.

نظرت العجوز إلى أعلى.

ونظر صبية كثيرون إلى أعلى.

تعلقت أبصارهم بالصبي وهو في القمة يمسك بالثمار.

نظر الصبي إليهم فوجدهم متعطشين شاحبين ويملؤهم شوق

كبير .

كان الرجل القصير المكتنز مازال يسند ظهره على النخلة

الطويلة الشاهقة يزيع الذباب عن كرشه وعن عينيه.

قال :

□ ارم بالبلحات يا ولد!

رمى الصبي بكل البلح دفعة واحدة على رأس عبد التواب

تحلق كل الصبية يتقاذرون، يتعاركون، وينتشلون الثمرات من

فوق رأس عبد التواب الذي كان قد سقط على صدره. تقدمت

العجوز إلى الرجل فتحت عينيه فانغلقتا، رفعت رأسه فسقط،

نظرت إلى أعلى وقالت :

□ يا ولد عبد التواب مات .

نزل الولد بسرعة الشهاب، أزاح جسد الرجل القصير المكتنز بعيداً عن النخلة الطويلة جداً .

تنفست النخلة في هدوء، كان الليل قد حلَّ، وكان القمر يطل راصداً حركة كل الناس في كافة أرجاء المكان.

سبتمبر ١٩٨٩

الخواء

كان خاوياً خواء الفراغ الأبيض الممتد وكان بارداً برودة القطب الشمالي الجامد، وكان يمشي في الممر الكابي الضوء يزحف يجر قدميه ينتشلهما ملتجئ إلى فراشه باحثاً عن الدفء فيصطدم بالبرودة المتلجة التي تصدم جسده وروحه فتثير فيه القشعريرة الممتزجة بالألم والحزن يتلمس جسده جزءاً جزءاً باحثاً عن الحياة فيجد الأطراف مبتورة وهي قائمة ويجد القتامة تشع من جلده فيتخفى تحت غطائه هرباً من نفسه وهرباً من الممر وهرباً من كل الأشياء التي تقهره وتسحقه وتضعه تحت ضروسها تمزجه بلعابها وتلفظه إلى الخارج حيث الضوء والدفء وحيث لا أحد ينتظره سوى نباح كلب البيت المقابل وصوت الحارس المتجهم وصرير عجلات الأطفال الزاحف على الأسفلت النائم لعرض الطريق.

وقفت أمامه على ناصية الشارع رقيقة العود ممشوقة القوام منتبهة ترصد حركة البشر والأشياء بعينيهما الدائرتين في

محجريهما كلعبة أطفال يابانية شرهة للمعرفة.

مشى بعرض الطريق، ثم قطعه بطوله حتى اقترب منها
فألفاها مختلفة عما رآها من قبل ومختلفة عن كل النساء وغريبة
عن الشارع وكأنها طير أسطوري نزع من فوق جبال الألب
مهاجرا نازحا في مهمة محددة.

وقف أمامها وسألها:

■ من أنت؟

قالت وهي تنظر إلى السماء:

□ أنا المتعبة المجهدة الهاربة من الممر البارد. خرجت إلى
النور بحثاً عن الدفء.

ضحك وصاح وهو يتطلع إلى ردائها الصوفي المطرز ثم
قال:

■ وأنت تلبسين الصوف وتتدثرين بالقטיפه وتشكين من
البرد؟

قالت وهي تعقد ذراعيها وتشبك يديها:

□ نعم أنا الآتية من الخواء أنا ذات القلب الضارب في
العنمة كالوطواط، وأنا كالحدأة العاجزة عن الخطف وعن الكره
وعن الحب رغم أنى املك كل الإمكانيات، ابتهج وارتعش.
تقدم منها فصدته بامتداد ذراعيها.

تأمل صفحة وجهها فوجدتها ترتعش كوجه البدر في صفحة
النهر المرتمي على أطراف المدينة.

عاد إلى الخلف يمشي إلى الخلف حتى دخل من بابه بظهره
ومشى في ممره الشبه مظلم واستلقى على فراشه المثلج وامسك
كوبه الحاد وكتابه الثخين وغطاءه المتعرج، سلم نفسه وكورها
كالكرة، سمع المذياع وقرأ الجريدة وشاهد التلفزيون ونقب بين
شرائط الفيديو، كتب ورسم وأضاء الأنوار، دق مسامير كثيرة
علق عليها لوحات كبيرة، أدرك بعمق بصيرته حجم البرودة في
أوصاله وعمق الخواء المنتشر بطول وعرض المكان كالفرغ
الأبيض الزاحف على كل شيء.

أكتوبر ١٩٧٧

الزوجة والريح

همست لنفسها: ها هو الغسق يفرق ولن يطلع الا غداً، لا لن يطلع أبداً، ربما لأن الريح. تلطمه وتلطمني، تلطم الأرض والسماء، تضرب البيوت والأشجار والإسفلت.

غرق الغسق في لجة الضباب الوحش، وكأنه يمضي بلا رجعة. ضباب كثيف يغلق الجفون وتتشنج معه عضلات الفكين وهي تجز مع الأسنان على عظام الجمجمة.

بدت المدينة كتلة من الغضب. تلال مركبة من النوافذ المتعبة من صفق الريح وخبط المطر المتكاثف المتدافع بألف وجه، بالف يد، وبألف ذراع. تنام المدينة أو تموت هكذا في حلق الغسق، ولا تقوم حتى لو عاد الضوء.

كانت المرأة قد فقدت وظيفتها ورغبتها منذ بضعة أعوام، وكان الزوج قد فقد عمله وبيته، متجهاً جنوباً مع مسار الريح، ربما يتمكن من فتح النوافذ ولو على الاستحياء.

لما أضاءت المصابيح النوافذ، صارت لجة الضوء الصناعي

كسرة الجنين تحاول الزحف الى مشيمة الأم في نهر من الفضة.
زحف الرجل والمرأة الى بيت الأم الحماة. أم الرجل وحماة
المرأة التي كانت تغلظ في القول، وكأنها تستمد من الصخر العتي
والريح الغضوب ملامح الشجار المستمر مع تلك المرأة الغربية،
وهذا الولد العجوز وقد عادا بخفي حنين، لا بيت ولا ولد ولا
ذكريات. حفنة جنيهاً وبعض الأساور ورغبة جامحة تبحث عن
عربة نقل ضخمة يتوسد كرسيها مقعده الضخمة. قال وهو يتنفس
في بطء وضيق وصمت:

■ كنا نحتسي الخمر سوياً وبافراط، ثم احتسته هي أكثر
بكثير. كانت النبيذ بالبراندي، فكان المزيج ياكل الروح والكبد.
اضطرت إلى تغييره بالبيرة السوداء المليئة بالفيتامينات.
قهقهه صاحبه السمين في البار المعتم، ترجرج جسده، لمعت
انف الزوج بسواد مدبب وكأنه سهم يشير الى الريح العاتية وهي
تضرب الليل البهيم وما حوى.

سال الصديق السمين الزوج عن عافيته الجنسية، سألوه وهو
يرتشف نصف الكاس المرة السوداء اللقائمة، والريح تخط باب
البار، تهتز الارض من قتامة الوجود ونشرات الاخبار وعشرات
السكرارى على الخشبات المنكسرات والمكسورات في العتبة
الامامية وحتى المرحاض الذي لم ترحمه خبطات الريح ولا
اصوات السكرارى فغمرته الفضلات برائحة نتنة.

ضحك الرجل وهو يشرب البيرة السوداء، يضم فمه الضخم بين خديه المتوردين المتسخين، وشعره الأسود الفاحم كفحم المدفأة الملتهبة المكفرة، ضحك وقال:

■ هذا ليس أمراً بذي أهمية، لم يكن قط بذي أهمية.

نامت المرأة في حضن رجلها، تلهث كثيبة المحيا، متعبة العضلات، همس في أذنها بسؤال صاحبه، ضحكت وكأنها تتأوه، قالت إنها أيضاً لم تهتم، غير إنها احتضنت يده المكتنزة المتسخة تحت الأظافر. أحسبت بأمان غريب ورغبة نائمة لا تستيقظ. فتحت عينيها في بطة شديد وقالت:

□ أمك قاسية، شديدة القسوة، كيف أنت بهذا الحنان، وقد

رضعت كل تلك الفظاظ؟

أحنى رأسه خجلاً، بدا وكأنه ينصب للريح العاتية، وهي تخبط الدنيا بكف صارمة، أجاب:

■ لم أَرْضِع منها قط. كنت اشرب الروعة من أبي، لكنه

مضى وأنا في الثالثة من عمري، ولم أره بعدها قط.

تلمست بيدها النحيلة وجهه الممتلئ، سعلت سعلة خفيفة، ارتعش جسده كله رعشة واحدة، فضمها إليه، لمها ودفن رأسها في صدره. أحس أنفاسها في شعر صدره الكث. سرت في أوصاله أحاسيس غريبة راودته حين كان في السابعة من عمره. أسبل عينيهِ ونام، قامت برأسها قليلاً،

تأملت وجهه المنور كالطفل الغرير الذي ما فتئ وإن حانت
له الفرصة حتى نام على الرغم من الأرق والقلق، الريح والمطر،
الهم الثقيل والأم التي لا تكف عن الصراخ.

أكتوبر ١٩٨٩

ارتحالات

جالسة كانت على الأرض، تنثني رجليها تحتها، تتطلع إليه في حزن واستحياء، تبلع ريقها وكأنها تبلع معه المرّ والعلقم، قالت:
■ ماذا سأفعل يعني يا عبد السلام؟ لقد سلمت أمري لله..
سأضع حجراً على قلبي، سأبحث عن القمر في ظلمة السماء،
سأناديه وأسأله عنك كل ليلة.

كان عبد السلام واقفاً بطوله يشمخ في فضاء الغرفة البسيطة،
وكان يمسك بيده اليمنى حقيبتة الملاءى بأغراضه الشخصية.

كان مازال في جلبابه البلدي الغامق، وكوفيته الفلاحي التي
ترزين صدره وتدفي رقبته. مسحت عينيها من الدموع بظهر يدها
اليمنى، وهي تسير إلى الخارج حاملة الملابس المتسخة والوعاء
الكبير وصابون الغسيل، اتخذت لنفسها مكاناً قريباً من الدجاج
والأولاد وانهمكت في غسل الملابس؛ بينما انحدرت دموعها في
غزارة على خديها ونحرها، سقط بعضها على الوعاء المفتوح الفم
أمامها، لكنها لم تحس إلا بالخدر يسري في رجلها نتيجة جلستها

المتئبة الثابتة، ونتيجة التفكير العميق، فقامت وحركت رجليها،
صاحت على الأولاد حين تطور لعبهم إلى الشجار الخفيف،
ورمت بالحب إلى الدجاج الذي أضجره الجوع والملل.

صاحت للسيارة الأجرة في غضب نافرة الرمل والتراب
حولها، أخذت معها عبد السلام فرفعت زينب رأسها، ومشت
بخطوات ثابتة إلى غرفة نومها ترتبها وتسد فتحة الشباك التي ما
لبثت تدخل الضوء والتراب والذباب.

ألقت بنفسها على ظهرها على سريرها متأملة السقف
والحوائط، تحسست بطنها وكأنها تود التأكد من شئ ما، غير أنها
قامت وفردت شعرها أمام المرأة، ومشطته بانتظام وابتسمت في
غموض، فبدت صورتها أمامها وكأنها نسخة حية من الموناليزا.

دخل ولدها الأكبر من الباب يجري فطالعه من خلف
صورتها في المرأة، وحادثته أيضاً من خلال صورتها في المرأة
وهو يلهث مهتماً متحمساً قائلاً:

■ أمه الجاموسة بتولد..

جرت زينب وهي محلولة الشعر، التف حولها الأولاد، جاءت
أم السعد لتساعدها، ولما ولدت الجاموسة تركت خلفها جاموسة
صغيرة وكثيراً من الدم والخلاص.

مسحت زينب على وجه الجاموسة المتعبة، لمت شعرها الذي
أدركت أنه محلول ومكشوف، انحنت لتقبل ابنها، رفعت هامتها

وتمشت في اتجاه غرفتها ترتاح على ظهرها، تتحسس بطنها
وتطالع السقف والحوائط، تسترق السمع في اهتمام إلى أصوات
البهائم والسيارات والعيال.
وكانت قد نسيت غسلها في الوعاء المفتوح الفم فتعكر ماؤه
وصار داكناً.

فبراير ١٩٨٩

البعيد عن العين

كانت خصلة شعرها الخلفية مازالت مبتلة، بينما كانت مقدمة رأسها بشعرها الملفوف يكاد يجف، يحيط بوجهها كالهالة، فتزيده وضوحاً وهذوءاً، وما أن أحاط بوجهها الشاهق حتى توسد رأسها يده فنامت خصلتها المبتلة على يده الدافئة تمتص منها حرارتها، تأخذ يده منها البرودة، تحاول تهدئته؛ فيزداد سخونة وتزداد هي قلقاً. تتحرك حواليتها وكأنها تراقب الجماد في سكونه وكأنها والخوف يأكلها من غير الجماد تتحرك يمينه ويسرة، منزعة، غير ثابتة الخطى، غير منمقة الكلام، غير محددة الهدف تروح وتجيء داخل نفسها، وخارج أطرها المعتادة وكأنها كسرت قوقعتها وتنفست الهواء المتاح رغم ضيق المكان والضوء الشاحب ورغم الزمن المتواصل، دمعت عيناها ونظرت مباشرة في عينيه وقالت:

■ صحيح البعيد عن العين بعيد عن القلب؟

ابتعد عنها قليلاً متأملاً ملامحها وقد أكله الشوق وتركت الأيام خطوطاً على جبهته السمراء تنفس وتنهد وترقب انفعالاتها،

ثم أوماً وقال:

□ نعم.. صحيح لكن العين في البعد لا ترى سوى ما تعمل
من أجله، والقلب يجف فلا يعشق سوى ما يبتعد عنه..
ضحكت ضحكة خفيفة وحركت رأسها فتحركت الخصلة
المبتلة في يده تدغدغها وتسقيها وتدعوها، قالت وهي تضمه وهو
يضمها:

والترحال أصبح غيتك. وتبعثرت أحلامنا على أجنحة
الطائرات وصرنا كالمجانين وكالمراهقين نتعشق ونتحاب على
الورق.

ضمها إليه بقوة حتى أحس بضلوعها تتحفر في باطن يده،
وبخصلة شعرها تنغرس في يده الأخرى، ثم ابتعد عنها ودعا
المكان والهواء يأخذ راحته بينها وبينه فصار يراها ككل تجلس
وهي تنتهي ركبتها أمامها وقدمها تبرزان من ردائها الطويل،
تتشابك يداها حول رجليها وكأنها في معابد الفراعنة تمارس
الطقوس والشعائر.

قال بعد صمت:

□ سافرت إلى بلاد الهند والسند، وسافرت إلى بلاد الشمال،
بحثاً عن لقمة العيش.

□ أنزلت ساقاً من ساقها، تأملته متعجبة متسائلة:

■ وأنا سافرت إليك في المدينة، شارعاً شارعاً، رحلت

الميناء والمطار، زرت المحلات والدروب ورأيتك مراراً لكن لم أمسك بك وأيضاً لم تأتني حينما انتظرتك.

أدار ظهره إليها ونظر من النافذة، كانت زجاجية تقطع الضوء الساطع الآتي إلى مربعات محفوفة بالقنامة تنفرج وتتضم، تغيب وتبان كشعاعات منفردة، وكضوء فياض يفتersh الحوائط، ينعكس على الزجاج وعلى الأطر وعلى حواف الورق المترامي، نظر إلى حقيبته الملقاة وأوراقه المنتثرة. إلى جواز سفره المتآكل من الحواف والمشبع برائحة العرق، قال وكأنه يكلم النافذة:

□ أنت تعرفين أنني لا أستطيع الارتباط بك نهائياً، فأنا مثل ابن بطوطة دائم الترحال.

جاء صوتها من خلفه مجوفاً يحمل رائحة الحوائط ورطوبة الجدران..

■ نعم يا مجدي لا تستطيع..

أدار ظهره فصار مواجهاً لها وبدا بهيئته الحلوة منطبعاً على الضوء على مربعات النافذة، قال:

□ أنا ..

قالت بسرعة مقاطعة:

■ أنتَ هو أنتَ، الصوت والصدى تموت في تراب أسفارك ولا تحب إلا نفسك..

اقترب منها حتى صار لصيقاً بها. أمسك بخصلة شعرها بيد

واحدة. وجدها قد جفت وأحس بصدرها يعلو ويهبط، خبأت دموعها، ضمّته وضّمّها، كانت قد زالت عنها الحيرة وذهب عنها الخوف، فانفلتت من بين يديها، حمل حقائبه وجواز سفره، فتح الباب وخرج، قامت تتمشى إلى النافذة، توحدت مع طيفه المرسم على مربعات الضوء ورأته من خلال النافذة المقسمة يذرع الطريق بخطى متعبة يبتسم في جاذبية لبائعة الفل التي لاقتّه على قارعة الطريق صائحةً بأعلى صوتهّا:

■ الفل، الفل، الفل يا بيبك.. ربنا يخلّي لك الست..

سمعتّه يضحك مجلجلاً قائلًا:

□ وأين هي الست يا بت؟

ضحكت بائعة الفل ملوّحة بعقد الفل، ضحكت بصوت أعلى منه مشيرةً إلى النافذة المقسمة وكانت تبدو من خلالها ذائبة خلال عتمة الغرفة تفضحها الشمس المسلطة عليها، لوّحت له بيدها، لوّح لها بيده، تناول عقد الفل من بائعته، علقه على رقبتّه وقفز إلى داخل الباص القديم المزمر المبتعد المختفي عن جميع الأعين.

نوفمبر ١٩٨٩

شادي عبد الموجد

بين أهل الحي، سرت هممة حية حيوية ساخنة سريعة،
خفيفة، عبقرية، كأنها الخبر الطازج، الفضيحة الجديدة، الفيروس
القوي، الإشاعة المتمكنة، التسالي اللذيذة، العدوى الكامنة الهادئة
المكتومة. السر عندما يذاع، والسؤال الذي بلا إجابة.

أو عل الأمر كان قد أصبح حالة تؤنس الناس، تشغلهم،
وتلهيهم، حالة تظهر في إيماءات الرعوس، تلويحات الأيدي،
نظرات العيون. دارت وتدور حول شادي عبد الموجد، ذلك
الكائن القاطن في الشقة الكبيرة على يمين السلم في الدور الثالث
من تلك العمارة العتيقة.

كان ساكناً قديماً جديداً متنقلاً، يأتي في زيه الميري، بدلة
بوليس بيضاء في الصيف وسوداء في الشتاء، مرتدياً الكاب
المميز أحياناً، وأحياناً أخرى حاسر الرأس، تظهر صلته جلية.

كان نحيفاً طويلاً تنقصه اللياقة التي عادة ما تميز الضباط
قبل تقدمهم في السن، وكما كان. الزي الميري، كان اللبس الملكي،

غير مهندم، متسخ، تبدو عليه البهذلة واضحة.
أما رتبته فلم تكن صغيرة توحى بأنه ضابط تحت السلاح
"أي شاويش مزمن، ترقى بعد طول العمر، ولم تكن اللواء أو
فريق مثلاً، لكنها كانت لعميد، رتبة تناسب سنه إلى حد ما.
عمومًا كان شادي عبد الموجود بهيئته المتبدلة تلك، القاتمة اللون
والشكل عاديًا معتادًا.

ينزل من الأتوبيس من محطته المقابلة للعمارة. كان السائق
يتبادل النظر مع الكمساري متفحصًا ذلك الكائن الحي عندما يطلع
وحينما ينزل، وحينما يضغط على أسنانه لتخرج كلمته بوليس،
أو شرطة أو مصلحة تصطك في فكّيه، تصطدم بلحمة
شفثيه من الداخل، وكأنه يريد أن يبصقها.

لذلك تعلم الكمساري وكذلك السائق وبعض الركاب المنتظمين
على ذلك الخط، تعلموا أن يلتزموا الصمت، غير أن الكمساري
كان يتوق للغاية إلى معرفة كنهه وسؤاله عن الكارنيه، فثمة
إحساس غريب تشارك فيه أهل الحي وركاب الأتوبيس، على أن
الأمر قد لا يكون إلا خدعة، ولربما كان الكائن مجرد كومبارس
أو لبيس لرشدي أباطة وعز الدين ذو الفقار أو محمود حميدة في
أفلامهم الجميلة، يرفعون هاماتهم وورائهم كوكبة من العساكر
الغلابة. ينقرون بشدة على شراعة الباب القراز، لكي يفتح أهل
البيت، يفزعون ويهرعون مع باقي السكان بعيدًا. وقد يكون نصابًا

محترفاً، وربما كان — أيضاً — شيئاً آخر غير ذلك.

باختصار كان شادي عبد الموجود مريباً للغاية، غذى بوضعه ومشيته الهمس والغمز واللمز، شغل ما يمكن أن يكتم فلا يقال، بين صاحب وصيبة السوبر ماركت الملتفون حوله، الباعة الجوالون، العيال السريحة، وصبيان المكوجية، وكأنهم قد كونوا شبكة استخبارات وهيئة استعلامات تحاول فكّ الطلسم، حلّ اللغز والإجابة عن كل الأسئلة المعلقة.

ظلّ شادي عبد الموجود كائناً شديد الغرابة والغموض، لكنه امتلاك أيضاً سحراً خاصاً، وعلى ما يبدو أنه كان مستمتعاً بما يحدث. يأتي إلى شقته الباردة، الوسخة، شبه المهجورة، على فترات وكأنه في مهمة!!

يدخل العمارة من بابها الحديدي الصدئ نصف المغلق، نصف المفتوح، يعديّ على مدخل البيت الرطب بخطوات محسوبة، ينظر بطرف عينيه إلى غرفة البواب المفتوحة دائماً، يلحظ البواب الطويل العريض المائل مكانه كالفلق، وعلى الرغم من أنه كان نادر التواجد إلا أنه كان قد ملأ المكان باسمه وصيته وزوجته وعياله ضجة وحيوية، كانت زوجته الموردة الخدين دائماً لهلوبة تشتاقي إلى المعرفة وفك الأسرار، معها أولادها الثلاثة المتبقين بعد هجرة أسئلة المعلقة. أما الأربعة الكبار ما بين زواج وعمل وسفر.

لم يخف شادي عبد الموجود حسده للبواب، حسده لمتعته، هيبته، عزوته، طاقتة، شعبيته وعياله، يحسوه على استمتاعه بالتلفزيون الصغير، الدش الصغير الجديد، والموبايل الذي اقتناه ودعا كل من هبّ ودبّ إلى اللعب به والتفرج عليه، وبالطبع إفساده وتعطيله.

لم يكن الكائن شادي عبد الموجود يملك شيئاً، يفتح باب شقته فيصرّ صريراً جنائزياً، يدخل إليها كأنه يدخل إلى بيت الرعب، يضيء النور الأصفر المهزوم، يجلس على الترابيزة القديمة، يفتح علبة السردين، يغمس الخبز بالجبين الأبيض، ويحليّ بالعسل الأسود. ثم يهرع إلى غرفة النوم يجرّ رجله بحذاء معفر منبعج الأطراف، منحول الكعب، مشقوق الجلد، وشراب نتن يلم قدميه، يستلقي على سريره الرطب محملاً في فضاء الغرفة وسقفها المتآكل الطلاء، اختفت قدرته عل الرصد والتحليل والتكر فازداد بِلادة، تداخلت الأشياء والأسباب، بحيث لم يعد قادراً على معرفة كنه تعبته، وما الذي يجب فعله لكي يتحسن... تساءل بينه وبين نفسه، هل سبب تعبته حياته الماضية، أم الحاضرة، لماذا تدهورت علاقته بأمه ودخلت مساحة الكره، لماذا تخلى عنه الكثير من أصدقائه وهل هو بسقفة النفسي الواطئ، ودماغه المتصارعة مع إمكانياته وقدراته قد سقط صريعاً ليعيش فقط، يأكل، يعمل، يتبول، يقضي حاجته ثم ينام. تمللم في نومته الغريبة على حافة

سريره العتيق، وكأنه يخاف من الفراش ومن فكرة استغلال مساحته كلها.

تنهد متسائلاً، هل كان حقه على نفسه وعلى الآخرين أكثر مما تصور، هل هُزِمَ وأصبح معقداً لا يتحقق إلا من خلال المقت والقنوط وبعض أحلام اليقظة.

نعم لقد أصبح شادي عبد الموجود مثل الرماد بعد الحريق، لا يتمكن من الاحتراق أكثر، تذكر شبابه هذا الذي كان متفجراً إبداعاً وعاطفة، فشل في حبه، فتحجر وتكلس ومات وعيه. تحول إلى شخص بليد، تختفي معالمه كل يوم حتى أصبح حلة محشي .. نعم، كما قالت له عيلة زميلته:

■ إنت يا شادي بقيت بالفعل مجرد "حلة محشي"!!

يجلس متسمرًا أمام شاشة التلفزيون، يشاهد فيلمًا أو اثنين أو ثلاثة دون تفكير، دون رأي ودون تحليل.

قام من على سريره، تلصص من فتحات الشيش على المارة وسكان العمارة المقابلة، وهم يحيون حياتهم بكل لوعتها حسرتها كانوا، هم في المقابل ينظرون ناحية شباكه راصدين عينيه وتجسسسه. كان يشعر برعب حقيقي من الخواء. دخل عالمه الحقيقي في ثنایا عالمه غير الحقيقي، فتولد منه هذا الكائن الحي، الذي ينتظر موته.

* * *

شدّت المطربة اللبنانية ذات القبعة الكبيرة العريضة الواسعة،
بكلمات عن المصري والمصريين، وعن أنهم بالفعل وحقاً
وأكيد ملوك الجدعنة. وصل إليه الصوت والحن مرة من عند
الجيران، وأخرى من عند الفاكهاني، وثالثة من سيارة عابرة
متمهلة يقودها صبية يرفعون العلم المصري الساتان اللامع بعد
فوز المنتخب الكروي بكأس الأمم، تأنى في الإنصات محاولاً
الاستماع والاستمتاع:

لو سألتك إنت مصري تقوللي إيه؟!
تقوللي مصري ابن مصري وابن مصر الله عليه
ملوك الجدعنة ودي حاجة في طبعهم
أنا مصري .. وأبويا مصري بسماري ولوني مصري
وكل مصري الله عليه!

وقتها كان يخلع ملابسه استعداداً لارتداء البدلة الميري، لزوم
الشغل أي شغل، لكنه توقف، تمهل، حدّق في مرآة الدولاب
نصف المظلّمة، المشروخة. كانت قد فقدت قدرتها على عكس
الصورة صحيحة. لاحظ نحافته غير العادية، ساقيه كانتا كعودي
قصب، ركبّاه البارزتان جدّاً بدتا ككرتين عظيمتين، بعض
ضلوعه، بطنه المشفوفة إلى الداخل، ذراعيه الرفيعتين ... بدا
الكل هيكلًا عظمياً يتنفس تأمل نحوله وضمور عضلاته. أخرج
من دولابه الفوضوي جدّاً مجموعة هلاهيل مختلفة الشكل واللون،

ارتداها فوق بعضها، وكأنه البلياتشو، راقات فوق راقات، داخلي
على خارجي، صيفي على شتوي، دون تفكير، حتى صار منتفخاً،
أعجبته الهيئة، ارتدى فوق كل ذلك البدلة الميري البيضاء، وضع
الكاب فوق رأسه، وعلى الرغم من أن رقبته النحيلة جداً كانت قد
كشفتها، إلا أن هيئته الجديدة قد أعجبته للغاية فمشى يترأفص
ويتهادي ويتمايل مدندناً:

يا رب تحميها .. مصر ...

يا رب خليها .. مصر

انصرها .. عليها

واحميها من كل شرّ

كان يصرّ ويجزّ على أسنانه مخرجاً أنفاسه وطاقته من
صدره وحنجرته، وهو يهتف في ختام الكوبليه: مصر. وكأنه
بالفعل كان محتاجاً لأن يحزق وينتفخ ويتورم، يصيح ويتشنج.
تمشى حتى باب الشقة، فتحه ثم أوصده خلفه؛ فصرّ صريراً
مخيفاً. نزل على السلالم مهاباً كبيراً حتى وصل إلى الردهة، نظر
بطرف عينيه إلى غرفة البواب؛ فوجد أولاده الثلاثة المتبقين
يضحكون ويتغامزون فلم يعرهم اهتماماً، ومضى يمشى مشية
الأوز، ذراع فوق ممدودة، وذراع تحت إلى الخلف، ساق ممدودة
بطولها تدب بالكعب على الأرض، والأخرى تستعد، كان كل
شيء مشدود وممدود، الرقبة الرأس العنق والجسم. عدّى الشارع

فسرت الهمهمة وتنقل الخبر بين الفاكهاني وصاحب السوبر
ماركست وصبيان، وصبيان المكوجية ... دار في دماغه ديالوج
سريع لم يعرف كيف يوقفه:

■ شادي عبد الموجود، إنت ضيعت عمرك ليه؟ عمرك
الطويل اللي عشته، عشته ليه؟! ربنا ها يحاسبك عليه، ها يحاسبك
على فلوسك، صرفتها في إيه. صحتك عملت فيها إيه؟ المصيبة
إنك عامل ناجح، لكنك بني آدم غريب عايش بشكل عشوائي،
أيوه، ما عملتش حاجة خالص، لا نفعت نفسك، ولا نفعت أهلك،
أهلك اللي عملوك ودخلوك الكلية عشان تبقى بيه، طيب إنت
عملتلهم إيه، إنت إنسان فاشل في كل حاجة... رغم الهيئة والهيئة
أنا مش عاجب نفسي خالص، حتى لو تخنت بالهدوم، حتى لو
غنيت زي نانسي عجرم، المفروض أكون نافع لأهلي، أنا هربت
من بلدنا وجيت أعيش في أوسخ حطة في مصر. المفروض إن أنا
صاحب سلطة ومكانة، لكن الحقيقة إن أهلي الفلاحين البسطاء لسّه
بيصرفوا علىّ، الناس بتقولوا يا سعادة الباشا، وأنا لا باشا ولا
حاجة، أنا قناع محشي هدوم، أنا حلة محشي حمضانة، وفي
تناقض كبير جداً بين الظاهر للناس وبين اللي جوايا. الحطة دي
عامله لي واقعة جامدة DROP. أنا مش عايز أتحمل أي حاجة،
لا جواز، ولا سواقة عربية ولا حاجة، باتحجج بكل حاجة، ما
قدرش أتحمل مسؤولية أسرة وأولاد، راضى بالأكل المعلب،

والعيشة الهباب في الشقة المخيفة. لو تجوزت واحدة هتقوللي
وَدِينِي وفسحني وهات لي وأكلني ونام معايا، وأنا عارف إني
ربما افشل معاها، ... لأ... مش ربما.. ده أنا ها فشل معاها،
وبعدين أهلها يحاسبوني ... أنتهزأ واتبهدل، لكن لما تيجي واحدة
شرموطة، مومس، خمس دقائق، يبقى نفعت نفعت، ما نفعتش ما
نفعتش، ها تاخد الفلوس في ساعتها، وإلا حتى ما تاخدش، هاتكل
على الله، لا تعرفني ولا أعرفها، لكن الزوجة ها تبقى حكاية، لو
تكرر معاها الإخفاق، مرة، اثنين وثلاثة، شكلي ها يبقى وحش.
عشان كده أنا بهرب من حنة الجواز دي. الإخفاق والفشل مش
جديد عليّ. الإخفاق الجنسي هوّ اللي جديد، يعنى من خمس سنين
كده، ما هو كل الفشل والإخفاق بيغذى بعضه، بيعدي يعني..

اختلطت كلمات شادي عبد الموجود بصوت موتور الأتوبيس
المتحشرج، حركة السير والركاب، هتافات مشجعي الكرة،
وصراخ أهالي ضحايا العبارة، عويل الذين انهارت حياتهم بعد
أنفلونزا الطيور.

كان منظره المنتفخ بالهدوم غريباً. قرر الكمساري سؤاله عن
الكارنيه. حاول شادي عبد الموجود أن يضغط الكلمات لينهره عن
السؤال، لكنه لم يفلح، حاول التملص، لكنه لم يعرف، توقف
الأتوبيس. تجمع الركاب والسواق والكمساري ودفعوا بالكائن
المنتفخ إلى عرض الطريق، سقط على الأرض، وتدحرج، كان

أشبه بالرجل الكاوتشوك، استقرت به الحركة بجوار حاوية الزباله
الأسباني الأنيفة بعد أن سرقت عجالاتها الأربعة، فتدحرجت
ونامت على جنبها، احتضنها، تحسس جيبه ليطمئن على الكارنيه
أي كارنيه...بكى بشدة. لكن لم يسمعه أحد.

مارس ٢٠٠٦.

أهم الكتب الأخرى للمؤلف

قصص قصيرة :

- الطير يهاجر إلى كون سرمدى - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦.
- البنات و النورس - إصدار خاص - ١٩٩٠.

سياسة وعلم نفس:

- سيكولوجية الإرهاب السياسي - إصدار خاص ١٩٩١.
- الصحة النفسية للأسرة - الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨٧.
- مشاهد من على كرسي الطبيب النفسي - مكتبة الأسرة - الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤.
- الاضطراب الجنسي : الأبعاد النفسية لدى الرجل و المرأة - دار الهلال ٢٠٠٢ القاهرة .
- كل ما يجب أن تعرفه عن الصرع - الدار العربية للنشر و التوزيع - الدوحة ١٩٨٩.

د. خليل فاضل

www.drffadel.net

kmfadel@gmail.com

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET